

الإطار الدفاعي عند الصوفية

أسعد الخطيب*

يَحْتَلُّ التصوف جزءاً هاماً من تراثنا العربي الاسلامي بدليل وجود عدد كبير جداً من مخطوطات علم التصوف تزرع بها مكتبات العالم ولا غرابة في ذلك فقد شاع التصوف في العصور الاسلامية على اختلافها واصبح اتجاهها شعبياً مشكلاً بذلك تياراً فكرياً غلاباً منجياً كوكبة من العلماء ممن خلفوا أثراً قيماً لا تزال تعتر بها المكتبة الاسلامية •

ومن قراءتي لما يكتبه بعض المعاصرين في هذا الميدان وجدت أن فريقاً منهم قد أصدروا أحكاماً عشوائية وعملوا على توجيه النقد غير المتبصر فزعموا أن التصوف خمول وكسل ومظهر من مظاهر الضعف فزلت بذلك أعلامهم ومن أمثلة ما كتبوا «والصوفية لم نر لهم جهاداً ولم نقرأ لهم استشهاداً»^(١) وقد تزعم هذا الاتجاه معظم المستشرقين - ومع الأسف - مشى على خطاهم في اشاعة هذا المعنى بعض الباحثين العرب المحدثين فصار ذلك هو الفهم السائد لدى الكثيرين فوجدت أن تصحيح هذه المفاهيم الخاطئة لهي ضرورة علمية وتاريخية حققة وضرورة قومية انسانية.

وفي الحقيقة لست فقيهاً ولكنني سأتناول الموضوع كدراسة علمية من الناحية التاريخية متوخياً الحقيقة مستنيراً في هذا الخصوص بما وقع في يدي من مراجع ومصادر • وعلى الرغم من أنها لا تشبع نهم الباحث فهي تزودنا ببعض الأخبار التي تسعى الى تبديد الغيوم وانارة الطريق •

(*) مجاز في التاريخ عضو اتحاد المؤرخين العرب •

فما هو الجهاد ؟ وما موقف الصوفية منه ؟

الجهاد : هو بذل الجهد في مدافعة الشر واستجلاب الخير .

والعدو الذي نجاهده قد يكون ظاهراً وقد يكون خفياً ، والانسان مجاهد في الحالتين وقد وصف الرسول ﷺ جهاد الانسان للعدو الظاهر بأنه الجهاد الأصغر لظهور العدو والاستعداد لمنازلته .

أما مجاهدة النفس ومحاربة الهوى فقد سماه الرسول الكريم :

« **الجهاد الأكبر** » لاختفاء العدو وخداعه وطول وسوسته .

وقد استطاعت الصوفية الجمع بين الجهاد القتالي وجهاد النفس . لأن هناك ترابطاً وثيقاً بينهما فالجهاد الأكبر تهذيب النفس وتوجيهها تجاه الخير وهي بذلك تستعد لملاقاة العدو ومنازلته . أما النفوس التي انحرفت وسارت مع الهوى فانها لا تستطيع أن تواجه العدو ولا أن تصارع المعتدين^(٢) ، وقد كانت الظروف المحيطة دافعاً قوياً للتركيز على طريق الحق والهداية . ويوضح ذلك ابن خلدون عند كلامه على نشوء علم التصوف قائلاً : « وكان ذلك عامّاً في الصحابة والسلف فلما فشا الاقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس الى مخالطة الدنيا اختصّ المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة »^(٣) فقد انتشرت نزاعات ملأت تاريخ العصرين الأموي والعباسي وغرق بعضهم في ملذات الدنيا وكان لهذا الفعل رد فعل من العبّاد والزهاد فسلّك قسم منهم طريق الوعظ والتذكير بالحياة الأخرى واندفع القسم الآخر للمرابطة في العواصم والثغور التي وجدوا فيها راحةً لنفوسهم وتخليصاً من مشاهد تطاحن الأحزاب والفتن والتكالب على الدنيا . وقد تسنى لهم في هذه الثغور ممارسة رياضاتهم وجهادهم فأخذوا يستشعرون السعادة والرضا . وهم بذلك كما يقول : د. شوقي ضيف يصحّون فكرة شاعت عن زهاد المسلمين وعبّادهم أنهم كانوا سلبيين ظانين أن زهد المسلمين كان يفصلهم عن الحياة وهو ظنٌ "واهم" فإنّ زهاد المسلمين لم ينفصلوا عن الحياة بل كانوا يتصلون بها وكانوا يلبون دائماً نداء الوطن ويتقدمون الصوف المجاهدة طلباً للاستشهاد في سبيل الله^(٤) .

ويُفرد لنا ابن الجوزي فصلاً خاصاً في كتابه (صفوة الصفوة) للزهّاد والصوفية الأوائل الذين رابطوا في العواصم والثغور في القرن الثاني للهجرة منهم : أحمد بن عاصم الأنطاكي وكان يقال له (جاسوس القلوب) لحدة فراسته ويصفه بأنه من متقدمي مشائخ الثغور ومنهم أبو يوسف الغسولي الذي كان يغزو مع الناس بلاد الروم وهناك كثيرون أمثال أبي إسحق الفزاري وعيسى بن أبي أبي إسحق السبيعي ويوسف بن اسباط وأبي معاوية الأسود (ت ١٩٩ هـ) (٥) .

ومن أقران أنفي الذكر عبد الله بن المبارك (ت ١٨١ هـ) قال عنه الخطيب البغدادي « وكان من الربانيين في العلم ومن المذكورين بالزهد » . خرج من بغداد يريد المصيصة - ثغر من ثغور الروم - فصحبه الصوفية « . » (٦) . كان ابن المبارك « كثير الانقطاع محباً للخلوة » (٧) . وكان لا يخرج الا الى حج أو جهاد وقيل له ألا تسوحش فقال : « كيف أستوحش وأنا مع النبي ﷺ وأصحابه » (٨) . وقد صُدرت تراجم الصوفية باسمه ، وفي حلية الأولياء سُئل ابن المبارك : من الناس ؟ فقال العلماء . وقيل له : من الملوك ؟ قال الزهّاد . وهو أول من صنّف في الجهاد وله كتاب الزهد والرقائق .

ويعدّ ابراهيم بن أدهم إمام المتصوفين الروحانيين يذكره ابن عساكر بأنه كان فارساً شجاعاً ومقاتلاً بأسلاً رابطاً في الثغور وخاض المعارك على البيزنطيين العدو الرئيسي للدولة الإسلامية الناشئة (٩) . وقد أثنى على ورعه وزهده الامام أحمد بن حنبل والأوزاعي وسفيان الثوري وغيرهم واختلف في وفاته والأصح ما ذكره ابن كثير أنه توفي وهو مرابط في جزيرة من جزائر بحر الروم سنة (١٦٢ هـ) (١٠) وقد صحب ابراهيم وأخذ عنه الطريق شقيق البلخي .

جاء في سير أعلام النبلاء وفي فوات الوفيات « قال حاتم : كنا مع شقيق في مصاف نحارب الترك في يوم لا ترى إلا رؤوس » تطير ورماح تقصف وسيوف تقطع فقال لي : كيف ترى نفسك يا حاتم في هذا اليوم ؟ تراه مثل ما كنت في الليلة التي زُفّت اليك امرأتك ؟ قال : لا والله قال : لكنني والله أرى نفسي في هذا اليوم مثل ما كنت تلك الليلة ومات في غزوة كوملان (ما وراء النهر) (عام ١٩٤ هـ) (١١) .

ويترجم لنا صاحب شذرات الذهب عن علم آخر من أعلام الصوفية المجاهدين وهو حاتم الأصم واصفاً إياه « القدوة الرباني » كان يقال له لقمان هذه الأمة توفي وهو مرابط على رأس سروّ على جبل فوق واشجرد» (١٢) . عام ٢٣٧ هـ ويروي ابن العديم أنه في القرن الثالث الهجري تجمع الصوفية من كل صوب في ثغور الشام إذ وفدوا الى هذه الثغور جهاداً في سبيل الله للوقوف في وجه البيزنطيين وأشهرهم أبو القاسم القحطبي الصوفي وأبو القاسم الأبار وأبو القاسم الملطي الصوفي الذي صحب الجنيد (١٣) البغدادي .

ونقرأ في تاريخ ابن عساكر عن ابراهيم بن علي الحسين العتابي الصوري (ت ٤٧١ هـ) واصفاً إياه « شيخ الصوفية بالثغر » كان ذا سمت حسن وطريقة مستقيمة» (١٤) .

هذه بعض الأمثلة عن الرعيل الأول من الصوفية المجاهدين وإذا كان المجال لا يتسع هنا للاستكثار من الشواهد فهي موجودة في بطون أمهات الكتب العربية . وبالجملة فلم يقعد الزهد والورع الصوفية عن الجهاد في سبيل الله والتفتيش عن مرضاته والشوق الى لقاءه . وقد لخص لنا سيدي عبد الوهاب الشعراني توفي (٩٧٣ هـ) مبادئ الصوفية في الجهاد قائلاً :

(أ'خذ علينا العهد من رسول الله ﷺ إذا دخلنا ثغراً من ثغور المجاهدين أن ننوي المراقبة مدة اقامتنا ولو لم يكن هناك عدو لاحتمال أن يحدث عدو) (أ'خذ علينا العهد من رسول الله ﷺ أن نكرّم الغزاة والحارسين . . .) (أ'خذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن نسأل ربنا أن نموت شهداء في سبيل الله لا على فرشنا فان لم يحصل لنا مباشرة ذلك حصل لنا النية الصالحة . . . وحصل الأجر كاملاً) .

(أ'خذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ إذا لم يُقسم لنا جهاد أن لا ننفر من الأمور التي تلحقنا بالشهداء في الثواب الأخرى) (١٥) يصف ابن سينا الصوفي قائلاً « المعارف شجاع كيف لا وهو بمعزل عن تقية الموت » . « وجواد وكيف لا وهو بمعزل عن محبة الباطل » . وصفّاح وكيف لا ونفسه أكبر من أن تجرحها ذلة بشر» (١٦) .

وجدير بالذكر أنه عندما ظهر التصوف ظهرت فيه بالاضافة الى فضيلة التقوى مجموعة من الفضائل الأخرى المستمدة من الفتوة وهي فكرة الايثار والتضحية واعتبرها المتصوفة من أوائل مبادئهم^(١٧) حتى قال أحدهم لا يكون الصوفي كاملاً الا اذا تفتى ويقول أحمد أمين : « أدخل الصوفية الفتوة في مذهبهم وصبغوها بصبغتهم وحملها على الحق مهما استتبع ذلك من مكاره^(١٨) ويجب الإشارة أن العالم الصوفي أبا عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢ هـ) أول من ألف كتاباً في الفتوة .

ويذكر لنا بعض المؤرخين نماذج من هذه الفتوة منها قول ابن خلكان في ترجمة أبي القاسم القشيري (ت ٤٦٥ هـ) « كانت له في الفروسية واستعمال السلاح يد بيضاء »^(١٩) . ويقول صاحب شذرات الذهب في ترجمة السيد أحمد البدوي (ت ٦٧٥ هـ) « ما في أولياء مصر بعد محمد بن ادريس (الشافعي) أفق منة »^(٢٠) .

ومع تضاعف نشاط الطرق الصوفية في عهد الاضطراب الذي خضع له العالم الاسلامي في العصور الوسطى تشكلت « الفتوات » . في آسيا الصغرى وفي البلاد العربية واتضح هدف هذه الفتوات بالاعلان عن الجهاد الديني المقدس على التتر والمصليبيين وأعداء الدين داخل البلاد وخارجها^(٢١) حتى لُقّب الصوفية فتيان الثغور . ولأن اقامتهم في هذه الثغور كانت تطول في بعض الأوقات عملوا متكاتفين على اقامة بيوتات صغيرة أشبه ما تكون بمخافر الحدود اليوم وكانت هذه نواة للربط التي انتشرت بكثرة فيما بعد للعبادة ورصد تحركات العدو . ذكر المقرئزي (الر'بط : جمع رباط ، وهو دار يسكنها أهل طريق الله وهو بيت الصوفية ومنزلهم والمرابطة ملازمة ثغر العدو وقيل لكل ثغر يدفع أهله عمّن وراءهم ر'باط . فالمجاهد المرباط يدفع عن وراءه والمقيم في الرباط على طاعة الله يدفع بدعائه البلاء عن العباد والبلاد)^(٢٢) .

وقد لعبت الر'بط دوراً مهماً حيث برزت كمؤسسات للتربية العسكرية والدينية (فالناحية العسكرية ظهرت بسبب تواجد دول على حدود الدول المتربصة بالدول الاسلامية وتوافد غزاة المسلمين اليها من أنحاء الدولة الإسلامية

يرابطون فيها فيتدربون عسكرياً ويحرسون ويشاركون في القتال وقد شبهها بعض الغربيين بالأديرة المحصنة (٢٣) .

ولم يقتصر وجود الر'بط على البرفان صاحب خطط الشام يذكر أنه كان على امتداد سواحل الشام رباطات للنيل من الأعداء ان قدموا بحراً فأهل دمشق يرابطون في بيروت وأهل حمص في طرابلس وأهل القدس في يافا فبنوا المنارات وكلفوا حرساً تراقب قدوم العدو فإذا كان الوقت ليلاً أوقدت منارة ذلك الرباط وان كان نهائراً دخنوا وقد ثبتت منارات متسلسلة فلا يكون ساعة الا وقد حصل النفير بين الناس استعداداً لمنازلة العدو (٢٤) . وقد أحصى لنا الأربلي (ت ٧٢٦ هـ) عدد الربط في دمشق وخارجها بواحد وعشرين رباطاً آخرها أنشأها ابن القلانسي بجبل الصالحية وتم بناؤه سنة ٧٢٠ هـ (٢٥) .

بيد أن أشهرها رباط العالم المجاهد رسلان الدمشقي (ت ٥٤١ هـ) صاحب الرسالة المعروفة في التوحيد والتصوف الذي لم يكن رباطه يقع داخل سور المدينة بل خارجها كأنه مخفر يأوي إليه حرس الحدود والذين يطوفون حول المدينة بعد اغلاقها ليلاً كيلا يكون هناك عدو مباغت وكان المريدون يترددون الى رباطه يتعلمون فيه جميع أنواع الدراسة ويتدربون على الفنون الحربية للوقوف في وجه الصليبيين حتى لقب الشيخ رسلان بحق (إمام السالكين وشيخ المجاهدين (٢٦)) وحتى الآن لا يزال أهالي دمشق يرددون الأنشودة المعروفة (شيخ رسلان يا شيخ رسلان يا حامي البر والشام) .

ويورد الدارسون كلام الرحالة المقدسي (أنه في أواخر القرن الرابع الهجري كان في اسبيجاب في ما وراء النهر على حافة الحرب مع الترك ألف وسبعمائة رباط بينما كان في بيكنند - ثغر بين بخارى وسمرقند - ألف رباط (٢٧) .

واذا كان هذا العدد الضخم من الرباطات في ثغرين من ثغور الحرب فما بالنا بما كان في بقية الثغور ؟

ومن جليل أعمال الصوفية وآثارهم الحسنة في الأمة الاسلامية أن الملوك والأمراء متى قصدوا الجهاد كان مشايخهم يحرضون أتباعهم للمشاركة في رد

العدوان وكان هؤلاء المريدون يسارعون بذلك لعظيم اعتقادهم وانقيادهم فيكون ذلك سبباً للظفر والنصر . ففي مصر سطر لنا الشيخ أبو الحسن الشاذلي (ت ٦٥٦ هـ) . مثالا رائعا عن مقاومة الصوفية للغزاة وتذكر كتب التاريخ مشاركته في معركة المنصورة سنة (٦٤٧ هـ) وقد التف حوله أتباعه (٢٨) . ومثل هذا يذكره ابن العماد في معرض كلامه على وفيات سنة (٦٥٦ هـ) « وفيها الشاذلي أبو الحسن المغربي الزاهد شيخ الطائفة الشاذلية كان ضريراً اشتغل بالعلوم الشرعية ثم سلك منهاج التصوف حتى ظهر صلاحه . . . قدم الى اسكندرية في المغرب وصار يلزم ثغرها من الفجر الى المغرب » (٢٩) . ومن أبرز تلامذة الشاذلي أبو العباس المرسي قال عنه ابن تغري بردي « الامام العارف قطب زمانه . . . وكان من جملة الشهود بالثغر . . . » (٣٠) .

وان دور الامام العز بن عبد السلام (ت ٦٦٠ هـ) في التحضير لمعركة « عين جالوت » (سنة ٦٥٨ هـ) معلوم للقاصي والداني فلم يمنعه تقدمه في السن من المشاركة في الاجتماعات مع السلطان وقادة الأمة وحثهم على ملاقاته التتار وفتواه في الجهاد مشهورة معروفة . ولا مجال للتردد أن العز كان صوفياً ونصوصه العديدة وكلام مترجميه قاضية بذلك . فقد حكى السيوطي أن : (سلطان العلماء) « لبس خرقة التصوف من الشهاب السهروردي » (٣١) (ت ٦٣٢ هـ) .

وذكر الذهبي واليونيوني وغيرهما « أنه مع شدته وصلابته فيه حسن محاضرة بالنوادر والأشعار يحضر السماع ويرقص » (٣٢) . كما للعز كرامات كثيرة منها ما حصلت له أثناء غزو الافرنج لمصر ورواها لنا السبكي في « طبقات الشافعية » (٣٣) .

وقد تحدث رحمه الله في علوم القوم من الزهد والمحبة والجمال والجلال والفناء كما ذكر بأسهاب المعارف والأحوال والكرامات التي يختص بها الأولياء ولا يعلو مقامهم في هذه الأمور سوى الأنبياء (٣٤) . ويعتبر المجاهد العز بأن أهل التصوف هم أهل الحقيقة وفي بيان ذلك يقول : « وليست الحقيقة خارجة عن الشريعة فمعرفة أحكام الظواهر معرفة لجل الشرع ومعرفة أحكام البواطن معرفة لدق الشرع ولا ينكر شيئاً منها الا كافر أو فاجر » (٣٥) .

ويذكر أحمد أمين أن الشيخ محي الدين بن عربي الصوفي المشهور (ت ٦٣٨ هـ) أثر عنه أنه كان خلال الحروب الصليبية يحرض المسلمين على الجهاد ومقاومة الغزاة الصليبيين^(٣٦) ومن وصاياه قوله: «وعليك بالجهاد الأكبر وهو جهاد هواك فانك اذا جاهدت نفسك هذا الجهاد خلص لك الجهاد الآخر في الأعداء الذي ان قتلت فيه كنت من الشهداء الأحياء الذين عند ربهم يرزقون . . . واجهد أن ترمي بسهم في سبيل الله واحذر إن لم تغز أن لا تحدث نفسك بالغزو . . .»^(٣٧) .

وعلى الرغم من اشتغال ابن عربي بدقائق علم التصوف فانه لم يقطع صلته مع قواد الدولة الكبار ومنهم الملك المظفر شهاب الدين غازي صاحب حلب توفي (٦١٣ هـ) الذي كان مريداً للشيخ وحصل منه على إجازة في العلم^(٣٨) وقد أثنى عليه ابن عربي في بعض كتاباته بقوله :

ما رفعت إليه حاجة من حوائج الناس إلا سارع في قضائها من فوره من غير توقف كانت ما كانت^(٣٩) . ويذكر ابن شداد أن فتح عكا «تم ببركة قدوم الملك غازي بما أظهره من أعمال البطولة الخارقة واستبشر والده (صلاح الدين) بغرته وعلم أن ذلك يضمن وصلاح سريرته»^(٤٠) . ويصفه المؤرخون بأنه كان مهيباً ذا سياسة وفطنة ودولته معمورة بالعلماء والفضلاء حضر معظم غزوات والده وهو الذي جمع شمل البيت الأيوبي وكان ملجأ للغرباء وكهفاً للفقراء يزور الصالحين ويتفقدهم^(٤١) .

قال عنه ابن الأثير : «أنه من خيار عباد الله»^(٤٢) .

وفي الواقع فان الظاهرة الهامة في العصر الأيوبي هي انتشار الصوفية وطغيانها وتملكها مشاعر العامة وعواطفهم حتى بدت مظهراً دينياً خالصاً . ويفسر بعضهم أن ذلك يعود الى كثرة الحروب والفتن والى نشوء مذاهب دينية تحوي بعض مبادئ الفوضى والهدم هذا فضلاً عن بدء تسرب جحافل الصليبيين الى البلاد الاسلامية فوجد العامة في التصوف الملجأ والمخلص مما هم فيه من المحن والهموم ، ولقد عظم اعتقادهم في مشايخ الصوفية وخصوصاً عندما بدأ الضعف يدب في جسم الخلافة العباسية ومن هؤلاء على سبيل المثال : علي بن الحسين الواعظ^(٤٣) . فقد أشار ابن كثير عند حديثه عن حوادث سنة ٥٤٩ هـ الى الدور

الكبير الذي قام به هذا الصوفي في الحث على تطهير البلاد من الصليبيين وقد توافد الى رباطه المئات وأصبح ما يشبه اليوم ثكنة عسكرية . وكذلك كانت هناك علاقة وثيقة بين حكام البيت الزنكي والأيوبي وبين رجالات التصوف واتخذوا منهم خير سند في حروبهم مع الصليبيين فكان هؤلاء يشحنون هم الناس ، ويستثيرونهم للجهاد فقد شجع نور الدين محمود زنكي (ت ٥٦٩ هـ) التصوف ورجاله عن عقيدة ورغبة حقيقية .

ذكر أبو شامة : « وكان يحضر مشايخهم عنده ويقربهم ويدنيهم ويبسطهم ويتواضع لهم فاذا أقبل أحدهم إليه يقوم له مذ تقع عينه عليه ويعتنقه ويجلسه معه على سجادته ويقبل عليه بحديثه (٤٤) . وكان يقول : « هؤلاء جند الله وبدعائهم ننتصر على الأعداء » (٤٥) . ويصف لنا ابن خلّكان نور الدين هذا بأنه كان ملكاً عابداً زاهداً ورعاً مجاهداً في سبيل الله وقد لاه بعض أصحابه على تكريمه للصوفية فغضب غضباً شديداً وقال : « إني لا أرجو النصر إلا بأولئك ... كيف أقطع صلات قوم يقاتلون بسهام لا تخطيء » (٤٦) . والناس في الحقيقة لا يعرفون إلا اليسير عن نور الدين الرجل العظيم الذي سبق صلاح الدين ومهد لانتصاراته على الصليبيين وجعلها ميسورة وذلك باتباع سياسة خارجية قائمة على توحيد البلاد وسياسة داخلية قائمة على التربية الروحية الخالصة . « فبنى الربط والخانقاهات في جميع البلاد للصوفية ووقف عليها الوقوف الكثيرة وأدرّ عليهم الإدارات الصالحة » (٤٧) . وتذكر كتب التاريخ أنه كان متقشفاً وقد يقترض أحياناً المال جاعلاً من الجهاد وسحق الصليبيين كل مسوّغ وجوده وكما يقول أحد المستشرقين المنصفين « نذر نور الدين حياته للحرب المقدسة متفانياً فيها بحماسة الصوفي العنيدة » (٤٨) . ومما قيل في شعره :

ذو الجهادين من عدو ونفس فهو طول الحياة في هيجاء

أنت حيناً تقاس بأسد الور د وحيناً تعدّ في الأولياء (٤٩)

وعندما فتح الموصل سنة ٥٦٦ هـ قصد الشيخ عمر الملاّ في زاويته وكان يستشير في أموره ويعتمد عليه في مهماته وعندما غادر الموصل أمر الولاة والأمراء بها أن لا يفعلوا أمراً حتى يعلموا الملاّ به (٥٠) وهناك حكاية يرويها لنا ابن كثير

مفادها (أن أناساً سمعوا الفرنج يقولون (إن القسيم ابن القسيم) يعنون نور الدين له مع الله سر فانه لم يظفر وينصر علينا بكثرة جنده وجيشه . . . وحسبه ما قاله عنه ابن الأثير لم يكن بعد عمر بن عبد العزيز مثل الملك نور الدين) (٥١) ولذلك لا غرابة أن نجد صاحب طبقات الحنفية وغيره يقول : إن الدعاء عند قبره مستجاب (٥٢) .

وقد سار صلاح الدين الأيوبي (ت ٥٨٩ هـ) على الدرب نفسه الذي سلكه نور الدين فقبل أن يشرع بتخليص البلاد من براثن الصليبيين بقي اثنتي عشرة سنة (٥٧٠ - ٥٨٢ هـ) يعمل من أجل تحقيق الوحدة وإعداد قوة الاسلام المادية والروحية فزاد من إنشاء الربط والخوانق والزوايا وجعل منها مدارس عسكرية وتربوية . يصف لنا ابن شداد « سكرتيره وقاضيه » شخصية صلاح الدين بقوله : (كان رحمه الله حسن العقيدة كثير الذكر لله تعالى قد أخذ عقيدته على الدليل بواسطة البحث مع مشايخ أهل العلم . وقد جمع له الشيخ « أبو المعالي النيسابوري المنعوت بالقطب » (٥٣) . عقيدة سليمة في علم الظاهر والباطن وقد ورد عنه أنه خلال المعارك كان يصحب علماء الصوفية لأخذ الرأي والمشورة فضلاً على أن وجودهم يعتبر حافزاً قوياً للمريدين على القتال ببسالة وشجاعة نادرة) (٥٤) .

وقد سلك صلاح الدين طريق زهد الصوفية لدرجة أنه كما قال ابن شداد : « مات رحمه الله ولم يحفظ ما تجب عليه الزكاة . . . ولم يخلف في خزانته من الذهب والفضة إلا سبعة وأربعين درهماً ناصرية وجرماً واحداً ذهباً ولم يخلف ملكاً ولا داراً ولا عقاراً ولا بستاناً ولا قرية ولا مزرعة ولا شيئاً من أنواع الأملاك » (٥٥) . « وقنع من الدنيا في ظل خيمة تهب بها الرياح ميمنة وميسرة » (٥٦) .

وإذا كان من تعريفات الصوفي هو من يستوي عنده الذهب والمدر فاننا نجد عند صلاح الدين تطبيقاً لهذه القاعدة . وإلى ذلك يشير كاتب سيرته « وسمعت في معرض حديث جرى يمكن أن يكون في الناس من ينظر الى المال كما ينظر الى التراب فكأنه أراد بذلك نفسه رحمه الله تعالى » (٥٧) . ويقول المقرئ إن صلاح الدين أول من أنشأ خانقاه للصوفية بمصر ووقف عليها أوقافاً كثيرة وكان سكانها يعرفون بالعلم والصلاح وولي مشيختها الأكابر (٥٨) .

ويذكر ابن إياس في بدائع الزهور (تاريخ مصر) عند حديثه عن مناقب صلاح الدين « وهو أول من اتخذ قيام المؤذنين في أواخر الليل وطلوعهم الى المآذن للتسبيح حتى يطلع الفجر . . . وكان لا يلبس إلا الثياب القطن والجيب الصوف وقد عدّه الياضي في كتاب روض الرياحين من جملة الأولياء الثلاثة » (٥٩) .
وخلال فتح صلاح الدين للقدس (٥٨٣) أمر المسلمين بالمحافظة على كنيسة القيامة « وبني بالقرب منها مدرسة للفقهاء الشافعية ورباطاً للصلحاء الصوفية ووقف عليهما وقوفاً وأسدى بذلك الى الطائفتين معروفاً » (٦٠) .

ويؤكد ابن الوردي في تاريخه حضور مشايخ الصوفية فتح القدس بقوله :
« وشهد فتحه كثير من أرباب الخرق والزهد والعلماء في مصر والشام بحيث لم يتخلف منهم أحد » (٦١) .

والروايات كثيرة تؤكد زهد صلاح الدين وتقصفه في مأكله وملبسه بينما يغدق كرمه على الفقهاء والصوفية ويوقف القرى بما تملك من موارد وأرباح خدمة للزوايا ودور الفقراء (٦٢) .

وبلغ من تعظيمه للرسول ﷺ واهتمامه بمولده الشريف أنه كان يدفع للكتاب الذين يؤلفون في قصة المولد العطايا الواسعة . وجدير بالذكر أن المدائح النبوية ازدهرت في فترة الحروب الصليبية وأصبحت فناً مستقلاً بذاته فقد مدح الشعراء الرسول ﷺ وتوسلوا به الى الله سبحانه لكشف الغمة عن أمته (٦٣) . ومما يدل على محبة صلاح الدين للصوفية قول ابن الأثير في الكامل « كان يحضر عنده الفقراء والصوفية ويعمل لهم السماع فإذا قام أحدهم لرقص أو سماع يقوم له فلا يقعد حتى يفرغ الفقير » (٦٤) . ويحكى عنه أنه كان اذا سمع بأحد العارفين بالله زاره في زاويته ليقتبس من أنواره وقد سار الى بغداد للقاء شيخ الطريقة القادرية علي بن الحسين المعروف « قضيب البان » الذي شجعه على قيادة جيوش الايمان وأرسل معه عدداً من أبنائه للمشاركة في المعركة وقد استطاع أحدهم وكان ملثماً قتل أحد قادة جيوش الصليبيين وقد طلب من الفارس المثلث التقدم للمكافأة فلم يجب أحد (٦٥) .

وهذا يذكرنا بقصة الأعرابي الذي بايع الرسول ﷺ على الجهاد فلما انقشعت غبار المعركة أراد الرسول الكريم أن يعطيه حصته من الغنائم فقال له الأعرابي ما بايعتك على هذا يا رسول الله إنما بايعتك على أن أرمى بسهم ها هنا - وأشار الى صدره - وأدخل الجنة - وعلى هذا الأساس ذهب بعض الدارسين الى القول بأن الصحابة - رضوان الله عليهم - جميعهم من الزهاد الصوفية وان لم يكن الاسم معروفاً في ذلك الوقت وأن رأس حركة التصوف الاسلامي - بمعناها السلوكي الدقيق - هو النبي ﷺ الذي تتلمذ على هدى سلوكه الماثور جميع الصوفية وجهدوا لاتخاذ القدوة النموذج (٦٦) .

وعن تورع الناصر صلاح الدين الشديد نسوق حواراً جرى بينه وبين كاتبه (العماد الأصبهاني) يقول العماد: «رأى لي يوماً دواة محلاة بالفضة فأنكرها وقال هذا حرام فقلت على سبيل المدافعة والمناظرة أو ليس يحل حلية السلاح واستصحابه في الكفاح ودوائي أنجع ومداد دوائي أنفع ويراع يراعتي القصير أطول وسلاح قلمي أحد وأفتك وأقتل فقال ليس هذا صالحاً . فقلت له أن الشيخ أبا محمد والد امام الحرمين قد ذكر وجهاً في جوازه ثم لم أعد بعدها أكتب في تلك الدواة» (٦٧) .

والآن وبعد أن مضى على وفاة بطل حطين ومحرر القدس ثمانمائة عام (١١٩٣ م) أو ليس لنا - على الأقل - أن نقف أمام عظمته الدينية والحربية وقفة اجلال واكبار مرددين قول شاعر عصره :

لو كان في عصر النبي لأُنزلت في ذكره من ذكره آياته
فعلى صلاح الدين يوسف دائماً رضوان رب العرش بل صلواته (٦٨)

وبعد انتقاله الى جوار ربه قاد خلفاؤه الأيوبيون أعمال التحرير ثم جاء بعدهم المماليك وحق بالمسلمين في عهدهم محنة أخرى هي الغزو المغولي وقضاؤهم على الخلافة العباسية في بغداد (سنة ٦٥٦ هـ) . وقد شهد عصر المماليك اشتداد تيار التصوف ويعزو أغلب الباحثين ذلك الى الأخطار التي ألمّت بالعالم الاسلامي في القرن السابع الهجري على أيدي التتار في المشرق والصليبيين في المشرق والمغرب جعلت يرغبون في التوبة الخالصة الى الله

والزهد في الدنيا والعودة الى سنة السلف الصالح للخلاص من الأوضاع السيئة التي أحس فيها المسلمون^(٦٩) . وليس من المفالة القول إن السلطان المملوكي الظاهر بيبرس (ت ٦٧٦ هـ) يأتي في المرتبة نفسها التي احتلها صلاح الدين ونور الدين وذلك للوقائع الهائلة والنجاحات العظمى التي حققها على التتار وبقايا الصليبيين وتوجهها بالمعركة الفاصلة في التاريخ الاسلامي والعالمي (عين جالوت ٦٥٨ هـ) والشيء الذي نريد القاء الضوء عليه في هذا الجانب هو العلاقة الوطيدة التي كانت قائمة بين الظاهر بيبرس وبين شيوخ التصوف في عصره واکرامه لهم فقد كان له فيهم اعتقاد كبير منهم : السيد أحمد البدوي (ت ٦٧٥ هـ) يروي صاحب شذرات الذهب :

« أنه بوصول السيد البدوي الى مصر قادماً من المغرب تلقاه الظاهر بيبرس بعسكره واکرمه وعظمه »^(٧٠) وانتسب الى طريقتة^(٧١) . ولكن الذي لعب دوراً مهماً في حياة بيبرس هو الشيخ خضر الكردي العدوي « وقد بنى له السلطان زاوية بجبل المزة خارج دمشق وكان يتردد عليها بيبرس في الأسبوع مرة أو مرتين ويستشيريه في أموره ولا يخرج عما يشير به ويأخذه معه في أسفاره وأطلق يده وصرّفه في مملكته »^(٧٢) . وهو الذي أخبر السلطان بأنه سوف يتسلطن وأخذ يقوّي روح الجهاد لديه . ومما يدل على ملازمة الشيخ خضر للسلطان في معاركه قول الشاعر المعاصر لتلك الفترة :

ما الظاهر السلطان إلا مالك الدن يا بذاك لنا الملاحم تغبر
ولنا دليل واضح كالشمس في وسط السماء لكل عين تنظر
لما رأينا الخضر يقدم جيشه أبداً علمنا أنه الاسكندر^(٧٣)

ويحدثنا ابن عبد الظاهر كاتب سيرة الظاهر بيبرس ورئيس ديوانه عن حضور الصوفية للحروب وهو شاهد عيان بقوله : « وحضر العباد والزهاد والفقهاء والفقراء الى هذه المغزاة المباركة التي ملأت الأرض بالعساكر وأصناف العالم ولم يتبعها خمر ولا شيء من الفواحش بل النساء الصالحات يسقين الماء في وسط القتال ويجررن في المجانيق وأطلق لجماعة من الصالحين الرواتب مثل الشيخ

علي المجنون^(٧٤) والشيخ الياس من الأغنام والحوائج وأطلق للشيخ علي البكاء جملة من المال وما سمع من أحد من خواصه اشتغل عن الجهاد في نوبته بشغله» (٧٥) .

ونلمس أثر التصوف واضحاً من خلال الأعمال التي قام بها بيبرس منها أنه جدد قبة الخليل عليه السلام وبنى على قبر موسى عليه السلام قبة ومسجداً ووقف عليه وقفاً وبنى على قبر أبي عبيدة - رضي الله عنه - مشهداً وجدد مشهد زين العابدين^(٧٦) ويصفه المؤرخون بأنه كان ملكاً شجاعاً مقداماً صالحاً متقشفاً هو وجيشه كما كان على جانب كبير من الديانة وأنه صاحب حال ونفس قوية . حكى ابن الفوطي . أن الظاهر بيبرس قال « رأيت النبي ﷺ قبل وصولي الى السلطنة وقد قلدني سيفاً ثم رآه قبل وفاته فقال له : أعطني الوديعة فأعاد إليه السيف فأخذه ﷺ وتوفي بعد ذلك بأيام » (٧٧) .

وأخيراً لا عجب أن نجد من ألقابه (الأسد الضاري) و (ركن الدنيا والدين) و (صاحب الوقائع الهائلة مع الصليبيين والتتار) التي امتدت من ٦٦١ هـ حتى وفاته سنة ٦٧٦ هـ .

لذلك ومما تقدم من شواهد قيمة نستنتج أننا في دراسة سبر أغوار حياة وشخصيات أمراء الزنكيين والأيوبيين والمماليك الذين دحروا الصليبيين والتتار نجد ناحية التصوف واضحة جليلة لا تقبل مجالاً للشك أو الريب فقد كانوا جميعاً نسيجاً روحياً واحداً رغم تباين قبائلهم واختلاف شعوبهم ولا غرابة في ذلك فقد أصبح التصوف - كما أشرنا آنفاً - خلال العصرين الأيوبي والمملوكي يعبر عن الدين الخالص والتمسك الدقيق بالشرعية والحقيقة .

وإذا كان لكل عظيم مكونات ومؤثرات لعبت دوراً مهماً في نجاحه فان الفضل الأول في انتصارات نور الدين وصلاح الدين والمظفر غازي والظاهر بيبرس وابن تومرت في المغرب يرجع الى عاملين: عامل مادي يبينه قوله تعالى : «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل» (الأنفال - ٦٠) وعامل روحي هو نشوؤهم في بيئة زرعت في قلوبهم حب التصوف ورجالاته العارفين فعلموهم حقيقة الاعتقاد وفضيلة الصبر والمصابرة والتضحية بالنفس والنفيس وطلب

الفوز باحدى الحسنيين : النصر أو الشهادة فكانوا بذلك هم الجذور التي أنبتت أشجاراً باسقة لا تهزها ريح ولا تنال منها عاصفة ولا نزال نحن ننعم بشمار هذه الأشجار حتى الآن . ومهمة الجذور دائماً بعيدة عن الأعين لأنها لو برزت الى السطح لضاعت منها قوتها الفاعلة والتاريخ الحق هو البحث عن الجذور وعدم الاصغاء الى الذين يحاولون تزييف الحقيقة وإظهار التصوف بأنه ضعف وخنوع وكسل بهدف القيام بمهمة تفريغ الحضارة الاسلامية من مضمونها الروحي وهم يعلمون حق اليقين أن التصوف هو روح الاسلام وهو قوته النافذة الضخمة وشعلته الوضياء المشرقة .

وجدير بالذكر أن الاهتمام بالكتابة عن التراث الاسلامي بشكل عام والتراث الصوفي بشكل خاص من قبل المستشرقين^(٧٨) ظهر في أعقاب الحروب الصليبية التي أوجدت حاجة ملحة من قبل المستعمرين للتعرف على سر انتصارات المسلمين فتوصلوا أن ذلك سببه الوحدة وأن التصوف هو الاتحاد الحقيقي الذي جمع القلوب .

ولا ننكر أنه ظهر خلال العصور المتوالية بعض الأفراد والجماعات من أدعياء الطريق الصوفي تشبهوا بالقوم في الزي والهيئة وهم شينٌ عليهم كما تشبهت بالفقهاء العاملين أقوام قاصرون فكانوا بدورهم شيناً عليهم ولم تزل كل طائفة من طوائف الناس فيهم الصالحون وفيهم الفاسدون ولقد حذر علماء التصوف قديماً وحديثاً من هؤلاء الكاذبين المنحرفين كالتاج السبكي حين قال : « إذا علمت أن خاصة الخلق هم الصوفية فاعلم أنهم قد تشبه بهم أقوام ليسوا منهم فأوجب تشبه أولاء سوء الظن »^(٧٩) .

وقد حكم البعض على التصوف من خلال هؤلاء الشاذين والتصوف منهم براء ويبدو أن التصوف في المغرب (في القرنين التاسع والعاشر الهجريين) كان أحسن حالاً مما كان عليه في المشرق . نفهم ذلك من خلال حديث أحد علماء صوفية المغرب وهو علي بن ميمون (ت ٩١٧ هـ) الذي زار المشرق فأنكر بشدة على المتشبهين بالصوفية وكذلك المتشبهين بالفقهاء واعتبرهم سبب ضعف المسلمين وألف كتاباً مستقلاً بعنوان « بيان غربة الاسلام بواسطة صنفي

المتفكحة والمتفكرة من أهل مصر والشام وما والاها من بلاد الأعجام» (٨٠) .
ونقرأ ترجمة هذا العالم المجاهد في شذرات الذهب «العارف بالله سيدي علي
بن ميمون المرشد المربي القدوة الحجة ولي الله تعالى اشتغل بالعلم ولازم
الثغور على السواحل وكان رأس العسكر» (٨١) .

وفي العصر الحديث يذكر الشيخ محمد عبده (ت ١٩٠٥ م) قريب من
ذلك فيقول : « قد اشتبه على بعض الباحثين في تاريخ الاسلام وما حدث فيه من
البدع والعادات التي شوّهت جماله السبب في سقوط المسلمين في الجهل
فظنوا أن التصوف من أقوى الأسباب وليس الأمر كما ظنوا » (٨٢) .
ويعتبر الامام والمصلح الصوفي محمد عبده الأب الروحي للثورة العرابية أثناء
الغزو الانجليزي لمصر سنة ١٨٨٢ م . وقد تحمّل في سبيل ذلك السجن والنفي .
ورد في الأعلام أنه (من كبار رجال الاصلاح والتجديد في الاسلام تعلّم بالأزهر
وتصوف ولمّا احتلّ الانجليز مصر ناوأمهم وشارك في مناصرة الثورة العرابية
ثم نفي . من مؤلفاته رسالة الواردات في الفلسفة والتصوف) (٨٣) .

وإذا ولّينا وجوهنا نحو المغرب نرى ظاهرة التصوف التي بدأت بالزهد كما
في المشرق واضحة جداً في تأسيس دول مشهورة .

ف نجد أن دولة المرابطين (منتصف القرن الخامس الهجري) منشؤها رباط
أقامه أحد الزهاد في محل ناءٍ من الصحراء وذاعت أنباء زهده وتقواه في
جميع أرجاء المغرب فقصده جموع غفيرة من الناس ومنهم يوسف بن تاشفين
(ت ٥٠٥ هـ) الذي أصبح فيما بعد رئيساً لدولة المرابطين وقد كان الزهد
والتقشف هما شعار الدولة وطابعها الخاص وابن تاشفين هو صاحب الموقعة
المشهورة مع الافرنج في الزلاقة (سنة ٤٧٩ هـ) .

ومما يروى أن الامام الغزالي الفقيه والصوفي الكبير (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ)
كان يعجب بورع يوسف وصفاته حتى أنه فكر في الرحيل الى المغرب لزيارته
لكنه عدل عن ذلك حينما بلغه وفاته (٨٤) .

وهناك نص كامل للخطاب الذي كتبه الامام الغزالي وأرسله الى يوسف
ابن تاشفين يحضه فيه على العدل ونصرة الدين (٨٥) . كما عثر على فتوى موجهة

لحجة الاسلام بشأن ما كانت عليه ملوك الطوائف من التفرق والتخاذل عن الجهاد فأجاب ما ملخصه : (أن يوسف كان على حق في إظهار شعار الامامة للخليفة المستظهر وأن هذا هو الواجب على كل ملك استولى على قطر من أقطار المسلمين وإذا نادى الملك المشمول بشعار الخلافة العباسية وجبت طاعته على كل الرعايا والرؤساء وكل من تمرد واستعصى فحكمه حكم الباغي ومن حق الأمير أن يرده بالسيف) . ودعا للالتفاف حول يوسف وعدم مخالفته ناشراً محامده « استصرخ المسلمون الأمير ناصر الدين وجامع كلمة المسلمين . . . فلبى دعوتهم وأسرع لنصرتهم بنفسه ورجاله وماله وجاهد بالله حق جهاده ومنحه الله تعالى استيصال شأفة المشركين . . . » (٨٦) .

وقد خلف المرابطون الموحدون (٥٤١ - ٦٦٨ هـ) ومؤسس دولتهم هو المهدي بن تومرت وكان قد رحل الى المشرق سنة (٥٠١ هـ) في طلب العلم ويحكى أنه لقي أبا حامد الغزالي في الشام أيام تزهده ويؤكد كثير من المؤرخين القدماء والمحدثين هذا اللقاء (٨٧) . وكما يقول صاحب المعجب . « وشهد الغزالي في ابن تومرت صفاته وشمائله وتبين فيه من العلامات والآثار ما يدل على أمره ومستقبله » (٨٨) . ثم اعتزم ابن تومرت الرحيل الى المغرب حاملاً دعوة التوحيد ومجدداً للمفاهيم الاسلامية التي زرعتها في نفسه أستاذه الغزالي وقد ذكر أن كرامة حصلت لابن تومرت وهو في السفينة مما جعله يعظم في صدور ركايبها (٨٩) . ولم يزل كذلك وأحواله صالحة وأصحابه ظاهرون وأحوال المرابطون تختل الى أن توفي عام (٥٢٤ هـ) بعد أن « قرر القواعد ومهدا ورتب الأحوال ووحدها » (٩٠) .

يصفه ابن خلكان (أنه كان ورعاً ناسكاً شجاعاً مخشوشناً لا يصحبه من متاع الدنيا إلا عصا وركوة فقد كان قوته رغيماً كل يوم وكان يقول : من اتبعني للدنيا فماله عندي إلا ما رأى ومن اتبعني للأخرة فجزاؤه عند الله وكان كثيراً ما ينشد :

تجرّد من الدنيا فانك إنما خرجت الى الدنيا وأنت مجرد (٩١)

قال المراكشي فيه : « كان قد وضع له في النفوس هيبة وفي الصدر عظمة كان شديد الصمت كثير الانقباض سُخرت له الرعاية وذُللت له الجبابة » (٩٢) . وقد أسفرت حركته عن قيام دولة من أعظم الدول الإسلامية وهي الدولة الموحدية الكبرى وتحت تأثير هذه الدعوة اندفع الموحدون لمقاومة القوات الإسبانية ويذكر المؤرخون أنه لولا قيام الدولة الموحدية التي استطاعت أن توحد الصفوف وتجمع الكلمة وتكوّن من أقطار إفريقية هذه القوة العتيدة التي حاربت في آن واحد في كلتا الجبهتين الأندلسية والأفريقية لعصفت القوات الصليبية بتلك البلاد في ذلك الحين . وقد ازدهر التصوف في عهد الموحدين ازدهاراً ملحوظاً وظهر جماعة في المغرب من كبار الصوفية أبرزهم : محي الدين بن عربي وأبو الحسن الشاذلي . وقد لقيت الحركة الصوفية الطرقية تطوراً ملموساً مع أحد مريدي الطريقة الشاذلية وهو الشيخ الجزولي (منتصف القرن العاشر الهجري) . الذي نشر الطريقة في جميع أرجاء المغرب ولاقت نجاحاً واسعاً خصوصاً عندما تبنت حركة المقاومة المغربية ضد البرتغاليين المحتلين للشواطئ العربية باسم الجهاد (٩٣) .

وتحول شيوخ الزوايا إلى وحدات سياسية كانت نواة لقيام دول بالمغرب على أساس صوفي كالسعديين الذين أخذوا على عاتقهم تحرير البلاد من البرتغاليين وقويت زعامة السعديين وحماسهم للجهاد بتأييد الطرق الصوفية المنتشرة بكثرة آنذاك (٩٤) . وصفوة القول فإن المجتمع المغربي كان مبنياً روحياً على الظاهرة الصوفية وقد وحدت المجتمع وصارت هذه الظاهرة عند المغاربة قوة واحدة أمام التهديد والعدوان الخارجي .

ونحاول أن نقف قليلاً عند أبي حامد الغزالي الذي أخذ عليه البعض عدم اشتراكه في قتال الصليبيين وفي الواقع يجب علينا هنا ملاحظة أمرين :

الأمر الأول : أن حياة الغزالي امتازت بكونه فيلسوفاً وفقهياً صوفياً ومصلحاً اجتماعياً ومخططاً سياسياً .

والأمر الثاني : أن العصر الذي عاش فيه الغزالي كان عصر ضياع وتشردم فيه مزيج من اختلاطات المذاهب والآراء والأفكار فأراد أن يأخذ على عاتقه عبء

الاصلاح فبينما كان الصليبيون يتأهبون لمهاجمة العالم الاسلامي مستغلين فقدان الخلافة العباسية هيبتها كان الغزالي يتهيا لمعالجة جذور المشكلة وأسباب الداء . « وقد أقامه الله حتى يكون في الناس من يحفظ به العقائد الصحيحة ويدفع شبه الملحدين والمبطلين وأجره أعظم من أجر المجاهد بكثير » (٩٥) . فاستحق عند الجميع أن يكون حجة الاسلام . ولو أنه اتجه الى القتال لما وجدنا في تراثنا الاسلامي هذه المجموعة العظيمة من الكتب التي خلفها والتي لا تزال تعتر بها المكتبة الاسلامية . ومن المعلوم أن الجهاد فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقي وقد قيض الله للصليبيين من طردهم من هذه البلاد وكما أنه ليس دور الطبيب حمل السلاح فكذلك دور العالم الفقيه حمل مشاعل النور للأجيال . قال تعالى : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » .

(١٢٢ - التوبة)

وقد ذكرنا آنفاً أنه كان أستاذاً ومرشداً لمؤسس الدولة الموحدية وله في الجانب السياسي كتاب « التبر المسبوك في نصيحة الملوك » . وما قيل عن الغزالي يُقال عن غيره من أعلام التصوف أمثال الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت ٥٦١هـ) . يقول شكيب أرسلان عن هذا المرشد الكبير (أن له أتباعاً لا يحصى عددهم ووصلت طريقته الى إسبانية فلما زالت دولة العرب في غرناطة انتقل مركز الطريقة القادرية الى فاس وبواسطة أنوار هذه الطريقة زالت البدع بين البربر . . .) (٩٦) وقد كان لخلفائه فضل كبير في المحافظة على روح الدعوة والجهاد وكثير من الذين قاوموا النفوذ الاستعماري في أفريقية كانوا من أتباع الطريقة القادرية . ومهما يكن من أمر فقد قدم علماء التصوف للمجتمع خدمات جليلة وخلفوا تراثاً زاخراً في الأدب والأخلاق . يقول الامام محمد عبده : « أنه لم يوجد في أمة من الأمم من يضاهي الصوفية في علم الأخلاق وتربية النفوس وأنه بضعف هذه الطبقة فقدنا الدين » (٩٧) .

وهناك عدد من الأحاديث النبوية الشريفة نصت على فضل العلماء على الشهداء وأن رتبة العلماء تلي رتبة الأنبياء مباشرة (٩٨) . كما جاء في الأثر

عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بأن مداد العلماء يرجح يوم القيامة على دماء الشهداء . وقد ذكر العز بن عبد السلام أن العلم المقصود به هو العلم بالله وهو علم العارفين (٩٩) . وقد ورد عن الرسول ﷺ قوله «العلم علماً» (١٠٠) الحديث .

وفي العصر الحديث : ينذر أن نجد من المجاهدين من عملوا على انقاز الوطن من براثن الاستعمار لم يسلك الطريق الصوفي .

لقد وجدوا أن من واجبه محاربة العدوان والشر المادي كما يحاربون المآثم والشهوات لأنها كلها من فصيصة واحدة تدمر الروح الانساني، ان الوميض المتجدد لجهاد الصوفية الحربي عاد ليظهر واضحاً من خلال الهجمة الأوروبية الاستعمارية على بلدان العالم الاسلامي فسطروا بذلك أروع آيات الكفاح ويخلدهم التاريخ بين صفحاته .

وسأترك للمقارئ المجال فسيحاً مع الحقائق والوقائع التي لا يرقى اليها الشك ولا يخالطها ريبة فهي وحدها البيان والترجمان .

ففي القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين قاد نضال الاحتلال في ليبيا الطريقة الصوفية السنوسية ومؤسسها محمد بن علي السنوسي (ت ١٨٥٩ م) تلميذ أحمد بن ادريس الفاسي (ت ١٨٥٣ م) رئيس الطريقة الخضرية الشاذلية (١٠١) عمل السنوسي على بناء قوة عربية اسلامية في صحراء ليبيا تقوم دعائتها على أساس الزوايا والرباطات التي لم تكن للعبادة فقط وانما كانت مراكز نشاط وحيوية واصلاح فكان شيخ الزاوية يربي أتباعه على ضرورة تعلم الرماية وفنون الحرب والاستعداد للجهاد في أي لحظة . وكانت منظمة تنظيمياً دقيقاً ولم تجرؤ الحكومات الاستعمارية في شمال افريقية على مسها (١٠٢) وقد تحولت هذه الزوايا جميعها عند الغزو الايطالي لليبيا في مطلع هذا القرن الى معاقل حقيقية للدفاع عن السيادة والكرامة تحمّل عبء النضال من خلالها السنوسيون بقيادة البطل المجاهد عمر المختار (١٨٥٨ - ١٩٣١ م) الذي جعل من زاويته الكبرى في واحة الجغبوب مقراً ومركزاً للعمليات العسكرية حتى استشهاده . وكان قد التحق بزاوية الجغبوب وعمره ستة عشر عاماً مارس

داخلها العبادة ورياضاته الروحية فقد كان لا ينام من الليل إلا ساعتين أو ثلاثاً ويختم المصحف كل سبعة أيام وقد كانت فترته هناك عاملاً هاماً في تكوين شخصيته السياسية والاجتماعية وتركت آثاراً باقية في سلوكه وتفكيره وصفاته فيما بعد (١٠٣) .

وفي الصومال قاده السيد : محمد عبدالله حسن (ت ١٩٢٠ م) أبرز خلفاء شيخ الطريقة الصالحية (وهي فرع من الشاذلية) بلاده من نصر الى نصر أكثر من عشرين عاماً حارب فيها قوات أكبر ثلاث دول في القرن التاسع عشر وهي بريطانيا وإيطاليا والحبشة . ولبسالة الأعمال الحربية التي قام بها سماه بعض أنصاره بالمهدي بينما هو نفى عن نفسه أن يكون المهدي المنتظر ووصف نفسه بأنه من الدراويش (١٠٤) .

وقد استطاع السيد أن يجعل من رابطة الطريقة أقوى من رابطة العصبية القبلية . وتزعم حركة المقاومة في موريتانية في وجه الفرنسيين وتصدى لمطامعهم الزعيم الروحي ماء العينين (ت ١٩١٠ م) الذي اعتنق الطريقة الفاضلة التي أسسها والده (وهي فرع من القادرية) (١٠٥) .

وفي افريقية بوجه عام اعتنق زعماء الجهاد تعاليم الطرق الصوفية التي لا يستطيع أحد أن ينكر دورها في نشر الدين والثقافة الإسلامية وفي مقاومة كل مظاهر السيطرة والوجود الأجنبي . وهم جميعاً رفضوا الاستسلام رغم كل العروض المادية والمعنوية وبالرغم مما أصاب زعماء هذه الحركات من خسائر فقد فضلوا الاستشهاد في سبيل الله .

وإذا كان زعماء بعض هذه الطرق قد عقدوا معاهدات صلح مع بعض القوى الأجنبية فذلك حتى تسترد الأنفاس وتنظم القوات وتبدأ مرحلة جديدة من النضال والكفاح (١٠٦) .

وما زالت شعوب غرب افريقية الإسلامية تدين للمجاهدين من أصحاب الطرق الصوفية من أمثال الشيخ عثمان بن فودي (القادري) أوائل القرن التاسع عشر والحاج الشهيد عمر التكروتي (ت ١٨٦٤ م) (١٠٧) الذي حمل معه الطريقة التيجانية الى غرب افريقية .

ولا ننسى الدور الفعال الذي قامت به الدرقاوية ابان الاستعمار الفرنسي للمغرب (١٠٨) . وفي الحقيقة من أبرز شخصيات المغرب البطولية شخصية البطل المراكشي الأمير عبدالكريم الخطابي (١٨٨١ - ١٩٦٢ م) الذي كان على درجة كبيرة من الشجاعة والزهد معاً وقد اعتكف عدة سنوات أخذ نفسه بالرياضة الروحية الخالصة حتى يصقل نفسه ويصفيها من شوائب الدنيا وأعراضها (١٠٩) . وقد كان لهذا الاعتكاف أثره على الأمير ليبدأ بعدها مرحلة طويلة من الكفاح ضد الاسبان ولم يهزم الا بعد أن تكاثفت عليه الجيوش الاسبانية والفرنسية وبعد أن خلف عدداً كبيراً من المريدين حملوا بعده راية الكفاح حتى تم قطف ثمار جهادهم .

وفي الجزائر لاحظ الخبراء الفرنسيون أن زعماء حركة الجهاد التي تؤلف محاربتهم انطلقت من الطرق الصوفية وخاصة المرتكزة منها حول الزوايا التي كانت منذ قرون تعتني بالجهاد عند الخطر وتعتني بالعلم والتصوف عند السلم ، ومن أبرز تلك الطرق في القرن الماضي القادرية والرحمانية (١١٠) وقد أنجبت الأولى الأمير : عبدالقادر الجزائري (١٨٠٧ - ١٨٨٥ م) الذي يعتبر (بلا منازع) شيخ المجاهدين في العصر الحديث فضلاً عن كونه من كبار صوفية عصره ، وقد ترجم عبد الرزاق البيطار للأمير ترجمة عارف بفضله ونبله فقال : «هو الهمام الكامل العارف والامام المتحلي بأعلى العوارف الراسخ القدم في العلم الالهي والكاشف عن أسرار الحقائق حتى شهدها كما هي » (١١١) . نشأ الأمير عبدالقادر في بيت علم ودين وزار في مطلع شبابه الشام مع والده آخذاً عن علمائها طريق النقشبندية ثم سار الى بغداد ونال ممن اجتمع بهم الطريقة القادرية ثم قصد بلاد الحجاز لأداء مناسك الحج (١١٢) . وأخيراً عاد الى بلاده ليجد المحافل الجارية من المستعمرين الفرنسيين وقد بدأت تدهم الجزائر فاجتمع الأشراف والعلماء وأعيان القبائل عند شجرة عظيمة (١١٣) . وهناك بايعه الجميع فذهبت البشائر في أقطار الأرض (١١٤) . حارب الأمير الفرنسيين بلا هوادة مدة سبعة وعشرين عاماً اضطر بعدها مكرهاً الى مغادرة الجزائر وتسليم راية الجهاد طاهرة مطهرة الى الشعب لمواصلة الجهاد في ميدان آخر له رجاله وأبطاله أيضاً واهتزت لقدمه دمشق التي اختارها لتكون مقراً له واستقبل فيها استقبال الفاتحين وقرأ على علمائها أشهر كتب التصوف كما ألّف فيها عدداً من الكتب

أشهرها كتاب المواقف في الوعظ والتصوف والارشاد^(١١٥) وكانت وفاته فاجعة في قلوب الجميع الذين ألفوه وأحبوه ثم تم نقل رفاتة الى الجزائر بعد استقلالها ١٩٦٢ .

ويشبه نضال الأمير عبد القادر للفرنسيين جهاد زعيم صوفي آخر في السودان للانجليز وهو محمد أحمد المهدي (١٨٤٣ - ١٨٨٥) الذي حفظ القرآن منذ صغره بهرته دون أترابه في الدرس أنوار التصوف فأقبل عليها^(١١٦) وانقطع في جزيرة « عبه » في النيل الأبيض خمسة عشر عاماً وهناك بدأ ممارسة رياضاته السلوكية ليقهر جماح النفس على الصعب ليبدأ مرحلة رفع عمد الاسلام والحرب في سبيل الله ولا سيما والسودان كله يتطلع الى الخلاص من كابوس الاحتلال الانكليزي بقول صاحب كتاب حلية البشر « وفي سنة سبع وتسعين ظهر رجل بالسودان يسمى محمد أحمد ولم يدع أنه المهدي . . . وكان قبل ظهوره مشهوراً بالصلاح ومن مشايخ الطرائق وكثر أتباعه ومريده . فلما دخل الانجليز حاربهم وحصل له وقائع كثيرة والغلبة في تلك الوقائع كلها عليهم وقتل منهم خلقاً كثيراً . . . فتملك جميع السودان وكان أمره معهم عجيباً يأتون اليه بالعساكر الكثيرة والمدافع والآلات الشهيرة فيقابلهم بجيوشه السودانيين وليس معهم إلا السيف والرمح والسكاكين »^(١١٧) وقد تمكن الثوار بقيادة المهدي من محاصرة الخرطوم ١٨٨٥ م وقتل حاكم السودان الانكليزي (غوردن) .

وفي هذه الآونة ظهر في مصر الزعيم أحمد عرابي (١٨٤١ - ١٩١١ م) الذي نشأ في بيئة صوفية . وفي ذلك يذكر عرابي عن أبيه أنه كان شيخاً جليلاً عالماً ورعاً وأن جده تزوج شقيقة السيد أحمد الرفاعي الصيادي^(١١٨) وكان لهذه النشأة أثر بعيد في تكوين خلقه وشخصيته وقد جاء في بعض الكتابات (أحمد عرابي الحسيني مسلم صوفي جاور في الأزهر عامين اتصاله وثيق مع العلماء قد التف حوله جند مؤمنون يقضون الليل في الاستماع الى القرآن وفي حلقات الذكر)^(١١٩) . وكان عرابي يعيش عيشة الزاهد المتقشف متأسيماً بذلك السلف الصالح وهو القائل :

« لا نجاح لأمة نبذت أحكام دينها ظهرياً ، ولا فلاح لقوم استعبدوا شهواتهم »^(١٢٠) .

واذا عدنا الى الورا قليلاً الى حملة نابليون بونابرت على مصر عام (١٧٩٨ م) نرى البطش والارهاب أول ما طال علماء التصوف في الأزهر الذين كانوا من طراز خاص ويستطيعون مخاطبة الجماهير وتحريكهم . وقد قتل نابليون عدداً منهم . ومن المعروف أن الذي اغتال القائد الفرنسي كليبر هو سليمان الحلبي الطالب الأزهري السوري وقبل أن يقدم على هذا العمل الكبير أخذ نفسه ببرنامج شديد بالصوم والعبادة وعندما أنس من نفسه القوة الروحية خرج من معتكفه (١٢١) ولم يفش سره إلا الى ثلاثة من عائلة الغزي (الفلسطينيين المشهورة بالتصوف) وقد أعدم البطل الحلبي كما أعد معه الثلاثة المذكورون .

وأول من أطلق صيحة الجهاد مدوية في فلسطين على الاستعمار الانجليزي الشيخ فرحان السعدي (المولود عام ١٨٥٨ م) الذي ينتمي الى عائلة السعدية الجيباوية الصوفية ولكن سرعان ما ألقي القبض عليه مع مريديه فأعدمه الانجليز وهو صائم (١٢٢) ويعد رائد الكفاح في فلسطين في العصر الحديث الشهيد الشيخ عز الدين القسام (١٨٨٢ - ١٩٣٥ م) وقد ترجم له صاحب الأعلام الشرقية بقوله : « شيخ الزاوية الشاذلية في جيلة الأدهمية » (١٢٣) والده الشيخ عبد القادر القسام من المشتغلين بالتصوف أرسل ابنه لمتابعة تعليمه العالي في الأزهر ثم عاد الابن للتدريس والوعظ في زاوية والده وقد امتاز منذ صغره بالميل الى الانفراد والعزلة الأمر الذي سيؤثر في مستقبله وسيجعله أكثر قدرة على فهم ما يدور حوله من أحداث (١٢٤) . وخلال الحرب العالمية الأولى كان القسام وقد وثق صلاته بمشايع الجبل وأبرزهم المجاهد ابراهيم العلي ولما احتل الفرنسيون ساحل سورية نادى في تلامذته ومريديه بأن الجهاد أصبح واجباً وفي عام (١٩٢٠ م) توجه الشيخ القسام نحو فلسطين وأخذ يحث على الجهاد في جوامعها وينبه للخطر الصهيوني وقد وجد مع الشيخ بعد استشهاد دعاء كان يضعه في عمامته وكأنه يعلم الناس أن الدعاء مقرون في الاسلام بالعمل . ترك القسام للأمة عشرات من الرجال المخلصين قاموا بالدور الرئيسي في الثورة الكبرى في فلسطين عام (١٩٣٦ م) .

وينتهي بنا المطاف في سورية التي وقف علماء التصوف فيها صفاً واحداً في وجه الاستعمار الفرنسي . واذا كان محمد عبده هو الأب الروحي للثورة

العراقية في مصر فان محدث الديار الشامية وأستاذ علماء الشام محمد بدر الدين الحسني (١٨٥١ - ١٩٣٥ م) يعتبر المفجر الحقيقي للثورة السورية الكبرى (١٩٢٥ - ١٩٢٧ م) وأصله من المغرب من ذرية الشيخ الجزولي صاحب دلائل الخيرات ولد في دمشق من أب قادري الطريقة كان فقيهاً زاهداً عارفاً بالله يغوص على مكنونات علم التصوف بدقة وعليه قرأ شيوخ المتصوفة في دمشق (١٢٥) .

وصفه صاحب الأعلام أن كان « ورعاً صواماً بعيداً عن الدنيا ولما قامت الثورة على الاحتلال الفرنسي في سوريا كان الشيخ يطوف المدن السورية متنقلاً من بلدة الى أخرى حاثاً على الجهاد وحاضاً عليه يقابل الثائرين وينصح لهم الخطط الحكيمة فكان أباً روحياً للثورة والثائرين المجاهدين » (١٢٦) وكان الشيخ محمد الأشمر والمجاهد حسن الخراط يقابلانه فجر كل يوم ويأخذان منه تعليمات الثورة (١٢٧) .

ونقرأ في كتب التراجم أسماء كثيرة من الصوفية العلماء المناضلين نذكر بعضهم هنا على سبيل المثال لا الحصر منهم العارف بالله محمد سعيد البرهاني شيخ الطريقة الشاذلية بدمشق (ت ١٩٦٧ م) الذي حارب مع الثوار في معركة ميسلون (١٢٨) ومنهم الطبيب الشيخ أبو اليسر عابدين (النقشبندي) (ت ١٩٨١ م) الذي كان يحمل المال والسلاح والدواء للمجاهدين ليلاً (١٢٩) ومنهم الشيخ أحمد الحارون (ت ١٩٦٢ م) (١٣٠) والشيخ علي الدقر (ت ١٩٤٣ م) (١٣١) والشيخ الشهيد عز الدين الجزائري حفيد الأمير عبد القادر الجزائري (١٣٢) ولا ننسى المجاهدين في مدن سورية أخرى وفي طليعتهم علامة حماة في الفقه والتصوف الشيخ محمد الحامد (ت ١٩٦٩ م) (١٣٣) الذي كان أول من دعا الى تطهير البلاد من المستعمرين الفرنسيين وله مجموعة خطب مكتوبة تحث على الثورة وغيره كثير لا يتسع المجال لذكرهم هنا سجلوا بحروف من نور أمجاد وبطولات لا بد للأجيال أن تعيها . ان الفضل الأول في تكوين هذه الفئات يعود الى المدرسة الروحية الخالدة التي أنجبت القواد العظماء أمثال نور الدين وصلاح الدين والظاهر بيبرس وعبد القادر الجزائري وعمر المختار وعبد الكريم الخطابي كانوا جميعاً نماذج رائعة من التجرد والاخلاص إنهم ورثة تلك النماذج من السلف الصالح من أمثال خالد بن الوليد وأبي عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وسواهم .

وبعد ٠٠٠ إننا اليوم بحاجة ماسة الى إعادة كتابة تاريخ مناظلينا بصورة دقيقة والتركيز على الناحية الروحية التي فجّرت في أبطالنا طاقات لا حدود لها .

إن الاستعمار الغربي في بلاد المسلمين لم يحدث من الخراب في الأرض وفي الأجسام ما أحدثه في القلوب والأرواح والأفهام فقد أصبح المسلمون بما تسرب الى بواطنهم يجهلون أنفسهم ولا يعرفون من حقيقة أمرهم شيئاً . وقد تبين لنا من سرد ما تقدم كيف عمّد بعض الدعاة الى تشويه ناحية مهمة في ميدان التصوف فيما يعسر فهم ذلك على غير المطلع المتضلع في دراسة هذا العلم والاحاطة به .

إن فهم التصوف اليوم يتطلب الرجوع الى المصادر الأساسية بعيداً عن المؤلفات التي طالعنا بها العصر الحديث فجاء أغلبها استشراقاً^(١٢٤) بعيداً عن الواقع والحقيقة إذ ليس التصوف خمولا ولا انهزاماً كما ادّعوا وليس التصوف تواكلاً وهو انما كما زعموا إن التصوف قوة وبأس ونضال ونفس ملهمة عاملة إنه تصعيد بالحياة الى أعلى وارتفاع بالقيم الانسانية الى ما هو أرفع وأسمى .

ومهما يكن من أمر فإن التصوف جزء من الأجزاء التي تألف منها تراثنا خضع كما خضع غيره من مظاهر الحياة الاسلامية لعوامل النشوء والارتقاء وللمقتضيات التراجع والانحطاط على أن هذا لا يعني أن الحياة الروحية الاسلامية لم تعدم بعض النفوس الصافية والقلوب الطاهرة التي كانت وما تزال تظهر من حين الى حين . وأخيراً فإن هذا البحث يفتح آفاقاً جديدة ويحتاج الى دراسة واسعة لأن مثل هذه الدراسة لن تعمق فهمنا واحترامنا للتراث باضافتها روحاً جديدة عليه فحسب ولكنها سوف تعمق وعينا بأنفسنا ماضياً وحاضراً ومستقبلاً وهذا أمر بالغ الأهمية في هذه المرحلة من تاريخنا .

وأرجو أن أكون قد وفقت ولو قليلاً في لقاء الضوء على هذا الجانب من التصوف . وآمل أن أتمكن أو يتمكن غيري أن يسير في هذا البحث مرحلة جديدة الى الأمام .

★ ★ ★

□ المصادر والمراجع والهوامش :

- ١ - مجلة المعرفة ، العدد (٣٢٨) ك ٢ - ١٩٩١ : مقال مطول بعنوان « الصوفية بين ترك الجهاد ووهم المجاهدة » .
- ٢ - الجهاد في التفكير الإسلامي ، د. أحمد شلبي . (سلسلة دراسات في الحضارة الإسلامية) القاهرة ١٩٦٨ ص ١٠ .
وحديث الرسول ﷺ : « رجعتنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر » رواه الديلمي عن جابر (رض) . راجع كشف الغطاء للعجلوني ج ١ ص ٤٢٤ .
- ٣ - مقدمة ابن خلدون . دار احياء التراث العربي ، ط ٤ ص ٤٦٧ .
- ٤ - تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الاول) د. شوقي ضيف . مصر ، دار المعارف ١٩٧٢ ص ٤٠٣ .
- ٥ - صفوة الصفوة ، ابن الجوزي . ت محمود فاخوري . بيروت ١٩٨٥ دار المعارف ط (٣) ج (٤) ص ٢٥٥ وتوابعها .
- ٦ - تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي . دمشق دار الفكر . ج ١٠ ص ١٥٧ د.ت .
- ٧ - وفيات الأعيان ، ابن خلكان . ت احسان عباس . بيروت ١٩٧٧ ج (٣) ص ٣٢ .
- ٨ - تاريخ بغداد ، ص ١٥٤ .
- ٩ - انظر مقال ابراهيم بن ادهم . مجلة التراث العربي . العددان ١١ - ١٢ عام ١٩٨٣ .
- ١٠ - البداية والنهاية ، ابن كثير . بيروت ١٩٦٦ . دار المعارف . ط (١) ج (١٠) ص ٤٤ .
- ١١ - انظر سير اعلام النبلاء ، الذهبي . بيروت ١٩٨٦ مؤسسة الرسالة ط (٤) ج (١٦) ص ٣١٣ . وانظر ايضا فوات الوفيات ، ابن شاکر الكتبي .
ت احسان عباس . بيروت دار صادر . ج (٢) ص ٧٦٤ .
- ١٢ - شذرات الذهب ، ابن العماد الحنبلي . بيروت دار المسيرة ج (٨) ص ٨٧ .
وانظر سير اعلام النبلاء ج (١١) ص ٤٨٤ .
- ١٣ - بغية الطلب في تاريخ حلب ، ابن العديم . ت سهيل زكار . دمشق ١٩٨٨ ط (١) ج (١٠) ص ٤٥٩١ . وانظر الحياة السياسية واهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام . د. أمينة بيطار . دمشق وزارة الثقافة . ص ٣٨٠ .
- ١٤ - التاريخ الكبير ، ابن عساکر . دمشق ١٣٠٣ هـ ، مطبعة روضة الشام المجلد (٧) ص ١٦٧ . وقد لقب بالصوري نسبة الى مدينته الساحلية اللبنانية صور .
- ١٥ - لوائح الأنوار القدسية ، عبدالوهاب الشعراني . حلب دار القلم العربي ١٩٩١ ط (١) ص ١٤٦ وتواليها .
- ١٦ - التصوف عند ابن سينا ، د. عبدالحليم محمود . القاهرة مكتبة دار العروبة ص ٤٥ د.ت .
- ١٧ - الملامية والصوفية واهل الفتوة ، أبو العلا عفيفي . القاهرة ١٩٤٥ . دار احياء الكتب العربية ص ٢٥ .
- ١٨ - الصعلكة والفتوة في الاسلام ، د. أحمد أمين . مصر دار المعارف ١٩٥٢ ص ٥٧ .
- ١٩ - وفيات الأعيان ج (٣) ص ٣٩٤ .
- ٢٠ - شذرات الذهب ج (٥) ص ٣٤٥ .
- ٢١ - المجتمع السوري في مطلع العهد العثماني ، د. ليلى صباغ . دمشق وزارة الثقافة ١٩٧٣ ص ١٨٢ . والطريقة هي (منهج لعلم النفس الأخلاقي وهو رسم طريق سفر النفس الى الله وهو التطبيق العملي العربي للشريعة حتى الحقيقة) دائرة المعارف الإسلامية ج (٥) ص ١٧٢ . وليس هناك خلاف بين الطرق في الأسس والمبادئ وانما الفرق في نوع الأفكار والأوراد التي يواظب عليها المريد اتباع كل طريقة . انظر كحالة : الفلسفة الإسلامية وملحقاتها . دمشق ١٩٥٤ . مطبعة الحجاز ص ٢٦٢ . وجدير بالذكر أنه من جليل أعمال مشايخ الطرق الصوفية التي بدأت بالانتشار في القرن الخامس الهجري أنهم استطاعوا أن يوجهوا فتوة العيارين القائمة على الافساد والنهب الى وجهة صالحة ، فكانت هذه الفتوة الفاضلة دعاء في حروب المسلمين مع أعدائهم الصليبيين .
- ٢٢ - الخطط والآثار ، المقرئزي . بيروت دار صادر ج (٢) ص ٤٢٧ .
- ٢٣ - انظر مقال : الزوايا والخوانق الصوفية . مجلة التراث العربي . العدد ٤١ ت ١ ١٩٩٠ .
- ٢٤ - خطط الشام ، محمد كرد علي . دار العلم للملايين . بيروت ١٩٧٢ ج ٦ ص ٤١ .
- ٢٥ - مدارس وجوامعها وربطها وحماماتها ، الحسن الأربلي . دمشق مطبعة الترقى ص ١٥ .
- ٢٦ - انظر كتاب امام السالكين وشيخ المجاهدين الشيخ أرسلان الدمشقي ، عزة حصرية . دمشق ١٩٦٥ .

- ٢٧ - عن كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، المقدسي . ص ٢٧٣ . اقتبسه د . شوقي ضيف في كتابه عصر الدول والامارات . مصر دار المعارف ١٩٨٠ ص ٥١٥ .
- ٢٨ - انظر أبو الحسن الشاذلي الصوفي المجاهد والعارف بالله (سلسلة اعلام العرب) د . عبدالحليم محمود . القاهرة ١٩٦٧ ص ٦٠ وتواليها
- ٢٩ - شذرات الذهب ، ج (٥) ص ٢٧٩ .
- ٣٠ - النجوم الزاهرة ، ابن تغري بردي . وزارة الثقافة المصرية ج (٧) ص ٣٧١ د . ت .
- ٣١ - حسن المحاضرة ، السيوطي . ج (١) مصر ١٩٦٧ مطبعة عيسى البابي الحلبي . ص ٣١٥ ، بدائع الزهور ص ٣١٨ (انظر هامش ٥٩) .
- ٣٢ - العبر ، الذهبي . بيروت دار الكتب العلمية ١٩٨٥ ط (١) ج (٣) ص ٢٩٩ د . ت .
- وانظر ذيل مرآة الزمان ، اليونيني . الهند مطبعة حيدر آباد ١٩٥٥ ط (١) المجلد (٢) ص ١٧٥ .
- ٣٣ - طبقات الشافعية الكبرى ، السبكي . مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٦٤ ط (١) ج (٨) ص ٢١٦ .
- ٣٤ - قواعد الاحكام في مصالح الانام ، العز بن عبد السلام . القاهرة ١٩٦٨ . دار الشروق . ج (٢) ص ٢١٤ .
- ٣٥ - المصدر السابق . ص ٢١٢ . ومن مؤلفات العز في حقل التصوف : مسائل الطريقة في علم الحقيقة - شجرة المعارف والاحوال - مختصر رعاية المحاسبي . وتجدر الاشارة هنا الى ان البعض نسب خطأ كتاب حل الرموز ومفاتيح الكنوز للعز بن عبد السلام بينما هو لتصوف آخر هو عبد السلام غانم المقدسي (ت ٩٧٨ هـ) ومن الغريب ان يقع في هذا التوهم صاحب هدية العارفين . انظر كشف الظنون ج (١) ص ٦٨٦ . ولزيد من التوسع عن تصوف العز بن عبد السلام راجع : العز بن عبد السلام وآثره في الفقه الاسلامي ، د . علي مصطفى الفقيه ، المجلد (١) ص ١٢٠ وتواليها - رسالة دكتوراة - أعدت في الجامعة الأردنية ١٩٧٧ . نشر مكتبة مؤتة .
- ٣٦ - ظهر الاسلام ، أحمد أمين . النهضة المصرية ١٩٦٦ ط (٣) ج (٤) ص ٢٢٢ .
- ٣٧ - الوصايا ، ابن عربي دمشق ١٩٥٨ مطبعة كرم ص ٤٩ .
- ٣٨ - انظر اجازة ابن عربي للملك المظفر . مكتبة الاسد الوطنية . مخطوط رقم ٦٢٨٤ . جاء في اولها (اقول وانا محمد بن علي بن العربي الطائي الاندلسي العاتمي وهذا لفظي استغثت الله تعالى واجزت السلطان الملك المظفر ...)
- ٣٩ - الوصايا ، ص ٢٥٧ .
- ٤٠ - النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، ابن شداد (بهاء الدين) . دار الفكر بدمشق ص ١٠٤ د . ت .
- ٤١ - شفاء القلوب في مناقب بني ايوب ، أحمد بن ابراهيم الحبلي ت . ناظم رشيد . وزارة الثقافة العراقية ١٩٧٨ .
- ص ٢٥٢ . وقد علق المؤرخ البريطاني ارنولد توينبي قائلا : « لو سقطت حلب للصليبيين لصار الشرق لاتينيا » .
- ٤٢ - الكامل في التاريخ ، ابن الاثير . بيروت ١٩٦٥ ناز صادر ج ١٢ ص ٣١٤ .
- ٤٣ - البداية والنهاية ، ج ١٢ ص ٣٤ .
- ٤٤ - الكواكب الدرية في السيرة الفورية ، ابن قاضي شهاب . محمود زايد بيروت ١٩٧١ دار الكتاب الجديد ط ١ ص ٣٨
- الروستين في اخبار الدولتين ج ١ ص ٩ .
- ٤٥ - البداية والنهاية ، ج (١٢) ص ٢٨١ .
- ٤٦ - وفيات الأعيان . ج (٥) ص ١٨٨ . الكواكب الدرية ص ١٦٢ .
- ٤٧ - الروستين في اخبار الدولتين ، أبو شامة المقدسي . بيروت دار الجيل ج (١) ص ٩ الكامل في التاريخ ج (١١) ص ٤٠٢ .
- ٤٨ - صلاح الدين الأيوبي البطل الأتقي في الاسلام ، البجر شاندور . ترجمة سعيد أبو الحسن دمشق ١٩٨٨ دار طلاس ط (١) ص ١١٧ .
- ٤٩ - الروستين ، ج (١) ص ١٨ .
- ٥٠ - البداية والنهاية ، ج (١٢) ص ٢٨٢ ، الكواكب الدرية . ص ٦٨ .
- ٥١ - البداية والنهاية ، ج (١٢) ص ٢٨٣ .

- ٥٢ - جامع كرامات الاولياء ، يوسف النبهاني • القاهرة ١٩٦٢ • مطبعة البياي الحلبي ط (١) ج (٢) ص ٢٤٩ •
- ٥٣ - ترويح القلوب في ذكر ملوك بني ايوب ، المرتضى الزبيدي • صلاح الدين المتجد دمشق ١٩٧١ مطبوعات مجمع اللغة العربية • ص ٨٩٩ • انظر ترجمة القطب النيسابوري في جامع كرامات الاولياء ج (٢) ص ٤٤٤ •
- ٥٤ - انظر سياسة صلاح الدين الايوبي في بلاد الشام والجزيرة - رسالة دكتوراة - جامعة بغداد • د • عبدالقادر نوري - بغداد ١٩٧٦ - مطبعة الارباد - ص ٤٣٨ وتواليها •
- ٥٥ - النوادر السلطانية ، ص ٦ •
- ٥٦ - المصدر نفسه ص ١٦ •
- ٥٧ - المصدر نفسه ص ١٣ •
- ٥٨ - الخطط والآثار ج (٢) ص ٤١٥ • بدائع الزهور ج (١) قسم (١) ص ٢٤٢ وقريب من ذلك يروي ابن جبير في رحلته ص ٤٦ « ومن مناقب هذا البلد (مصر) ومفاخره العائدة في الحقيقة الى سلطانه المدارس والمحارس الموضوعه لأهل الطلب والتعبد... وهذا السلطان الذي سن هذه السنن المحموده هو صلاح الدين المظفر يوسف بن ايوب وصل الله صلاحه وتوفيقه » •
- وقد استرعت انتباه هذا الرحالة الأندلسي احوال الصوفية فقال :
- « وهذه الطائفة الصوفية هم الملوك بهذه البلاد لأن قد كفاهم الله مؤن الدنيا وفضولها وفرغ خواطرهم لعبادته... وبالجمله فاحوالهم كلها بديعة... » •
- ٥٩ - بدائع الزهور في وقائع الدهور (تاريخ مصر) ابن اياس الحنفى • ت • محمد مصطفى ، القاهرة ١٩٨٢ ، الهيئة المصرية للكتاب ط ٢ • ج ١ ص ٢٤٨ وقد ملح ذلك الصفدي ت ٧٦٤ هـ بقصيدة مدح فيها نور الدين وصلاح الدين وما ادخله من سنن حسنة فقال من قصيدة :
- أحيا الذي قد سن نور الدين وزاد ما أمكن من تحسين
- وقال آخر :
- ودمت صلاح الدين للدين مصلحاً يطبعك في تصريف أحوالك الدهر
- انظر : تحفة ذوي الالباب في من حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب ، الصفدي القسم (٢) • ص ٨٣ منشورات وزارة الثقافة - ١٩٩٢ •
- كما اثني أحد شعراء صلاح الدين على نزعة التصوف التي تميز بها السلطان فقال :
- ملك له في الحرب بحر تفقه وله غداة السلم زهد تصوف
- أحييت دين محمد وأقمته وسترته من بعد طول تكشف
- انظر عيون الروضتين في أخبار الدولتين ، أبو شامة المقدسي ، منشورات وزارة الثقافة ١٩٩٢ • ج ٢ ص ١٧٧ •
- قلت : اذا اعتبر كثير من الباحثين أن حجة الاسلام الغزالي قد اعطى التصوف دفعة « فكرية » فان نور الدين وصلاح الدين قدما له دفعة « رسمية » •
- ٦٠ - الفتح القسي في الفتح القدسي ، العماد الأصبهاني ت • محمد محمود صبح القاهرة ١٩٦٥ ، المؤسسة العامة للتأليف ص ١٤٥ •
- ٦١ - تتمة المختصر في أخبار البشر ، ابن الوردي • ت • أحمد رفعت الببراوي بيروت ١٩٧٠ ، دار المعرفة ط ١ ج ٢ ص ١٤٧ •
- ٦٢ - البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٩٣ •
- ٦٣ - الادب في العصر الايوبي ، محمد زغلول سلام • القاهرة ١٩٦٨ دار المعارف ص ٢٣٦ •
- ٦٤ - الكامل في التاريخ ج ١٢ ص ٩٧ •
- تعليق : ورد في الحديث الشريف : « كان أصحابه رضى » يتناشدون الشعر... وهو ساكت فريما تبسم معهم » •
- رواه الترمذي وأبو داود وابن حنبل • ولم ينكر العلماء السماع على الصوفية المخلصين ومنهم العز بن عبد السلام. عندما سئل عن ذلك أجاب « سماع ما يحرك الاحوال السنية المذكرة بالآخرة مندوب اليه » • انظر : فهرس مخطوطات التصوف ج ٢ • ص ٣٤٩ • ويقول الغزالي في الاحياء : « لا يجرم السماع نص ولا قياس » •
- ويورد أيضاً المعتجون على اباحتهم كلام العافظ بن حجر العسقلاني :

« ولسنا نكرم مطلق السماع ولا نعتقد انما يفعل من ذلك كله سفاف بل منهم العارفون وهم حزب الله »
 انظر « ايضاح الدلالات للشيخ عبد الغني النابلسي دمشق ١٩٨١ ص ٤٣ والرقص أو الوجد والهيام عند الصوفية
 هو أعلى مراحل السماع وقد رخص ذلك أغلب العلماء للذاكر اذا خرج عن طوره أو حصلت له حال لم يملك معها
 شعوره قال الفقيه الصوفي السمرقندي ت ٥٣٧ هـ : « والصوفية أهل الحق يحذرون من سماع الحرام والرقص
 باللهو » . انظر : مخطوط رقم ١١٨٥ الورقة ١ مكتبة الأسد . وانظر : فتاوى السيوطي ج ٢ ص ٢٣٤ ، الفتاوى
 الحديثة ابن حجر المكي ص ٢٩٨ .

٦٥ - نهاية المطالب في انساب فاطمة الزهراء وعلي بن أبي طالب من دمشق الفيحاء الى الموصل الحدياء ، أبحاث ودراسات
 حققها صلاح الدين الموصللي دمشق ١٩٧٥ مطبعة الثبات ص ١٢ .

وقد شد صلاح الدين الرحال اكثر من مرة الى زيارة اولياء عصره من ذلك ما قاله المؤرخون « كما زار السلطان
 الشيخ الزاهد أبي زكريا المغربي عند مشهد عمر بن عبد العزيز - في معرة النعمان - ف تبرك بزيارة الميت والحي » .
 انظر عيون الروضتين ج ٢ ص ١٣٤ ، الأعلام الخطيرة ج ذكر أمراء الشام والجزيرة لابن شداد - عز الدين - منشورات
 وزارة الثقافة ١٩٧٥ ج ١ قسم ١ ص ١٧٤ . الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب لابن الشحنة ص ٩٩ - الكامل ج ١ ص ٢٠٠ .
 وعند حديث ابن شداد عن المزارات التي في ظاهر حلب ص ١٥٤ . قال « ومنها مشهد الحسين ... ولما ملك صلاح
 الدين يوسف حلب زاره في بعض الأيام واطلق له عشرة آلاف درهم » .

٦٦ - حركة التصوف الاسلامي ، محمد ياسر شرف - دمشق ١٩٨٤ وزارة الثقافة ص ٤١ .

٦٧ - الفتح القسي ص ٦٥٩ .

٦٨ - الروضتين ج ٢ ص ٢١٥ .

٦٩ - الظاهر بيبرس ، د سعيد عبد الفتاح عاشور - اعلام العرب - دار الثقافة المصرية ص ٥٠ .

٧٠ - شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٤٥ .

٧١ - الاعلام ، الزركلي . دار العلم للملايين ط ٨ ١٩٨٩ ج ١ ص ١٧٥ .

٧٢ - الخطط والآثار ج ٢ ص ٤٣٠ .

جاء في تاريخ الملك الظاهر لعز الدين بن شداد ت ١٠٠٠م حطيط ١٩٨٣ ص ٢٧١ « لما علم تقدمه الله برحمته ان افضل
 ما يتقرب به المتقرب الى الله العظيم تعظيم اوليائه ... ثابر على الوفود عليهم والتودد اليهم والقيام بحقوقهم
 والاهتداء ببلوامع بروقهم وصحب جماعة متادبا يادابهم ... » .

٧٣ - الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، محي الدين بن عبد الظاهر ت . عبد العزيز الخويطر . الرياض ١٩٧٦ ص ٢٣٨ .

٧٤ - ويصفه ابن عبد الظاهر « بالصلاح وله كرامات معروفة ... وكان له دور متميز في فتح أرسوف ... » ويتابع
 القول : « وبعد الفتح زار السلطان قبور الصالحين ثم توجه الى الحج وبقي كاحد الناس لا يعجبه احد مصليا
 وطائفا ثم عمد الى الكعبة شرفها الله تعالى ففسلها بيده وحمل الماء في القرب على كتفه وغسل البيت الشريف
 وكل من رمى اليه احرامه غسله له بما ينصب من الكعبة الشريفة ويرميه الى صاحبه .

وفي النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٨٠ تصدق الظاهر بعشرة آلاف اردب قمح في الفقراء والمساكين وارباب الزوايا .

٧٥ - الروض الزاهر ص ٢٣٩ .

٧٦ - فوات الوفيات ، ابن شاكر الكتبي . ت . احسان عباس بيروت دار صادر ج ٢ ص ٢٤٣ .

٧٧ - الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، ابن القوطي البغدادي بيروت ١٩٨٧ دار الفكر الحديث ص ١٨٨

٧٨ - راجع بحوث الاستشراق . وانظر مجلة الوحدة (المغربية) عدد ٩٦ ايلول ١٩٩٢ مقال : « الاستغراب للتححرر عن تبعية
 المعرفة الاستشراقية » . خالص فيه كتابه الى القول ان الاستشراق ليس علما بل هو سلاح في أيدي الدول الغربية
 للهيمنة وشارك فيه كل الباحثين من دول الغزو الحديث وان نقد الاستشراق جزء من حركة التحرر العربي .

٧٩ - معيد النعم ، التاج السبكي ص ١١٩ اقتبس محمد زغلول سلام في كتابه الادب في العصر المملوكي .

٨٠ - غربة الاسلام ، علي بن ميمون - مخطوط - مكتبة الأسد الوطنية رقم ٧٨٢٨ ، قيل عن مؤلفه انه مجدد القرن

التاسع الهجري . در الحب ، ابن الحنيلي ترجمة رقم ٩٥٨ .

٨١ - شذرات الذهب ج ٨ ص ٨١ ، الاعلام ج ٥ ص ٢٧ .

- ٨٢ - انظر الكتاب القيم : حقائق عن التصوف ، عبد القادر عيسى ، حلب ١٩٧٠ مطبعة البلاغة ص ٥٨٥ .
- ٨٣ - الاعلام ج ٦ ص ٢٥٢ .
- ٨٤ - وفيات الأعيان ج ٤ ص ٢١٧ .
- ٨٥ - انظر نص الكتاب في عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، محمد عبد الله عنان مصر ١٩٦٤ لجنة التأليف والترجمة والنشر . ط ١ ص ٤١ .
- ٨٦ - انظر الفتوى كاملة المرجع السابق ص ٥٣٠ .
- ٨٧ - انظر مثلا ، نظم الجنان ، ابن قطان المراكشي . ت . محمود علي مكي بيروت ١٩٩٠ ص ٧٣ ، وفيات الأعيان ج ٥ ص ٤٦ ، تاريخ الدول الاسلامية د . أحمد السيد سليمان . ص ٥٣ .
- ٨٨ - المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، عبد الواحد المراكشي . القاهرة ١٩٤٩ مطبعة الاستقامة ص ١٧٨ .
- ٨٩ - المعجب . ص ٩٩ .
- ٩٠ - وفيات الأعيان ج ٥ ص ٥٥ .
- ٩١ - نفس المصدر . ص ٤٧ .
- ٩٢ - المعجب . ص ١٩٥ .
- ٩٣ - التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر ، محمد الطيب القادري . ت . هاشم العلوي القاسمي . بيروت ١٩٨١ دار الافاق الجديدة ص ٩٩ وما بعدها .
- ٩٤ - المغرب العربي ، د . صلاح العقاد . القاهرة ١٩٦٢ مكتبة الانجلو المصرية ص ٥٣ ، التقاط الدرر ص ٥٢ وما بعدها .
- ٩٥ - سيرة الغزالي واقوال المتقدمين فيه ، عبد الكريم عثمان . دمشق دار الفكر ص ١٢٢ . د . ت .
- ٩٦ - حاضر العالم الاسلامي ، لوثروب ستوارد . شكيب أرسلان (المعلق) القاهرة ١٣٥٢ هـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ج (٧) ص ٣٦٧ .
- ٩٧ - الأعمال الكاملة ، محمد عبده . ت . محمد عمارة بيروت ١٩٧٢ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ج (٣) ص ٥٣٠ .
- ٩٨ - وقد نص الامام العز بن عبد السلام على تفضيل العارفين بالله من اهل التصوف على أعارفين باحكام الله بدليل ما يجريه الله على أيديهم من كرامات ولا يجري شيئا من ذلك على يد الفقهاء الا ان يسلكوا طريق العارفين ويتصفوا باوصافهم . انظر الفتاوى المصرية . اقتبسه علي الفقير في رسالته ج (١) ص ١٣٠ (انظر هامش رقم ٣٥) وجدير بالذكر انه حصلت للرزق كرامات كثيرة خصوصا أثناء غزو الافرنج لمصر (. . . فلما رأى الشيخ حال المسلمين نادى بأعلى صوته مشيرا بيده الى الريح : يا ريح خذيهم عدة مرات فعاتت الريح على مراكب الفرنج وكسرتها وكان الفتح وغرق أكثر الفرنج وصرخ من بين أيدي المسلمين صارخ : الحمد لله الذي أرانا في أمة محمد ﷺ رجلا سخر له الريح . (انظر هامش رقم ٢٣) .
- ٩٩ - منها العلماء ورثة الانبياء (رواه الترمذي) ومنهما من جاء الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام فيبينه وبين الانبياء درجة واحدة (أخرجه الدارمي) .
- ١٠٠ - ونصه « العلم علمان : علم في القلب فذلك العلم النافع وعلم على اللسان فذلك حجة الله على خلقه » . رواه العافظ أبو بكر الخطيب كما ورد في الترغيب والترهيب ج (١) ص ٦٧ .
- ١٠١ - دراسات في تاريخ افريقية العربية ، عبد الكريم غرابية ، مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٠ ط ١ ص ١٥ .
- ١٠٢ - حاضر العالم الاسلامي ج ٢ ص ٣٠١ .
- ١٠٣ - عمر المختار نشاته وبيئته الاولى ، حبيب وداعة الحسناوي . ليبيا ، جامعة الفاتح ص ٢٢ .
- ١٠٤ - انظر الكتاب القيم المسلمون والاستعمار الاوروبي لافريقية ، د . عبد الله عبد الرزاق ابراهيم - سلسلة عالم المعرفة الكويتية ١٣٩ - تموز ١٨٩ ، ص ٢٢٣ وما بعدها .
- ١٠٥ - جهاد الممالك الاسلامية في غرب افريقية ضد الاستعمار الفرنسي (١٨٥٠ - ١٩١٤) د . الهام ذهني الرياض ١٩٨٨ دار المريخ للنشر ص ٢٠٠ .
- ١٠٦ - المسلمون والاستعمار الاوروبي لافريقية ص ٢٧١ .
- ١٠٧ - المرجع السابق ص ٤٠ .

- ١٠٨ - حاضر العالم الاسلامي ج ٢ ص ٣٩٦ .
- ١٠٩ - الأمير عبد الكريم الخطابي بطل الشمال الأفريقي ، محمد عبد المنعم المحامي ومحمد عبد الوارث الصوفي . القاهرة ١٩٥٨ المكتبة العلمية ط ١ ص ٨٨ .
- وانظر مجلة العربي عدد (٣٧٧) ١٩٩٠ مقال (الحضارة في المغرب والشخصيات الإفريقية المسلمة) . وعن تصوف الأمير الخطابي أنظر أيضا : الإسلام وحركات التحرر العربية . د. شوقي أبو خليل دمشق ١٩٧٦ دار الرشيد ط ١ ص ١٩٩ .
- ١١٠ - انتشرت الطريقة الرحمانية في الخمسينات من القرن الماضي ويعزى انتشارها الى أنها كانت رد فعل لنشاط المبشرين بين القبائل وناصرت الرحمانية ثورة أحمد المقراني سنة ١٨٧١ م .
- ١١١ - حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، عبد الرزاق البيطار . ت. محمد بهجت البيطار دمشق ١٩٦٣ مطبعة المجمع العلمي العربي . ج ٢ ص ٨٨٣ .
- ١١٢ - تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر ، محمد عبد القادر الجزائري . الاسكندرية ١٩٠٣ المطبعة التجارية ج ١ ص ٩٥ .
- ١١٣ - إشارة إلى متابعة الرسول (ص) في بيعة الرضوان .
- ١١٤ - أنظر أخبار هذه البيعة المرجع السابق ص ٩٦ .
- ١١٥ - يقول عن كتابه المواقف ص ٩ - ١٠ « هذه نفثات روحية والقاءات سبوحية بعلوم وهيبه خارجة عن أنواع الاكتساب والنظر في كتاب ... وطريقة توحيدنا ما هي طريقة المتكلم ولا الحكيم المعلم ولكنها طريقة توحيد الكتب المنزلة وسنة المرسل المرسل التي كانت عليها بواطن الغلفاء الراشدين والصعابة والتابعين والسادات العارفين وان لم يصدقوا الجمهور فعند الله تجتمع الغصوم ... » صدر كتاب المواقف عن دار اليقظة العربية بدمشق ١٩٤٥ من ثلاث أجزاء وللأمير ديوان شعر مطبوع أغلبه في الوعظ والتصوف ومن شعره :
- جمالنا بعلوم أنت تجهلها بها حبابنا الذي أهدى وجهنا
- ١١٦ - محمد أحمد المهدي ، توفيق أحمد البكري . سلسلة أعلام الإسلام - القاهرة ١٩٤٤ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ص ٧
- ١١٧ - حلية البشر ج ٢ ص ٨٠١ .
- ١١٨ - أحمد عرابي الزعيم المقتدى عليه ، محمود الخفيف مصر ١٩٤٧ مطبعة الرسالة ط ١ ص ٣ .
- ١١٩ - الإسلام وحركات التحرر العربية ، د. شوقي أبو خليل . دمشق ١٩٧٦ دار الرشيد ط ١ ص ٤٧ وما بعدها .
- ١٢٠ - كشف الستار عن سر الأسرار ، مذكرات كتبها زعيم الثورة العراقية أحمد عرابي الحسيني بقلمه . مطبعة مصر ١٨٨٢ م . ص ٢ .
- ١٢١ - رواق الشام بالأزهر ايان العصر العثماني بحث أعد في اطار المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام . جامعة دمشق - كلية الآداب ١٩٧٨ ج ٢ ص ١٧ .
- ١٢٢ - أنظر مجلة شؤون فلسطينية عدد ١٢٤ آذار ١٩٨٢ ص ٢٢ .
- ١٢٣ - الأعلام الشرقية في المائة الرابعة الهجرية ، زكي محمد مجاهد . دار الطباعة المصرية الحديثة ١٩٤٩ ط ١ ج ٢ ص ١٣٩
- وسميت « جبله الأدهمية » نسبة الى الضريح الموجود فيها لقطب الزاهدين ابراهيم بن آدم .
- ١٢٤ - أنظر كتاب الوعي والثورة ، سميح حمودة . جمعية الدراسات العربية في القدس دار الشروق . الأردن ص ٢٥ .
- ١٢٥ - تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري ، محمد مطيع الحافظ ونزار أباطة ، دمشق ١٩٨٦ دار الفكر ط ١ ج ١ ص ٤٧٢ .
- ١٢٦ - الأعلام ج ٧ ص ١٥٧ .
- ١٢٧ - الإسلام وحركات التحرر العربية ص ١٧١ ، تاريخ علماء دمشق ج ١ ص ٤٨١ .
- ١٢٨ - الأعلام ج ٦ ص ١٤٥ .
- ١٢٩ - تاريخ علماء دمشق ج ٢ ص ٩٦٩ .
- ١٣٠ - امام السالكين وشيخ المجاهدين الشيخ أرسلان الدمشقي ص ١٧٧ .
- ١٣١ - الإسلام وحركات التحرر العربية ص ١٤٧ ، تاريخ علماء دمشق ج ٢ ص ٥٨٧ .

- ١٣٢ - تاريخ الثورة السورية ، محي الدين السفرجلاني ، دمشق ١٩٦١ دار اليقظة العربية ص ٦١٩ .
- ١٣٣ - العلامة المجاهد محمد العامد ، عبد الحميد طهماز - سلسلة اعلام المسلمين دمشق ١٩٨١ دار القلم ص ٣٧ .
- وكان الشيخ محمد العامد قد سلك طريق النقشبندية في حمص على يد الشيخ محمد أبو النصر خلف ت ١٩٤٨ م .
- ١٣٤ - كانت الحركة الاستشراقية التي تبناها الاستعمار تعبر عن توجه مدروس ومحكوم في انكار المقومات الروحية في ماضي هذه الأمة محاولا بذلك استئصال تراثها ليلفت الانتباه عن روح الاسلام الى الفلو والتطرف وأن تسود دوماً روح التفرقة والانقسام والتضليل بين أبناء الدين والوطن الواحد .

★ ★ ★

□ تثبيت المصادر والمراجع ، حسب ورودها في البحث :

- | | |
|--|---|
| ٢٠ - خطط الشام محمد كرد علي | ١ - الجهاد في التفكير الاسلامي احمد شلبي |
| ٢١ - مدارس دمشق وجوامعها وربطها وحماتها الحسن الأريلي | ٢ - المقدمة ابن خلدون |
| ٢٢ - امام السالكين وشيخ المجاهدين الشيخ ارسلان الدمشقي عزة حصريّة | ٣ - العصر العباسي الاول د. شوقي ضيف |
| ٢٣ - احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم المقدسي | ٤ - صفوة الصفوة ابن الجوزي |
| ٢٤ - أبو الحسن الشاذلي الصوفي المجاهد والعارف بالله د. عبد الحليم محمود | ٥ - تاريخ بغداد الخطيب البغدادي |
| ٢٥ - النجوم الزاهرة ابن تقي بري | ٦ - وفيات الأعيان ابن خلكان |
| ٢٦ - العبر الذهبي | ٧ - مقال : ابراهيم بن ادهم مجلة التراث العربي |
| ٢٧ - طبقات الشافعية السبكي | ٨ - البداية والنهاية ابن كثير |
| ٢٨ - قواعد الاحكام القر بن عبد السلام | ٩ - سير اعلام النبلاء الذهبي |
| ٢٩ - ظهر الاسلام احمد أمين | ١٠ - شذرات الذهب ابن العماد الحنبلي |
| ٣٠ - الوصايا ابن عربي | ١١ - بغية الطلب في تاريخ حلب ابن العديم |
| ٣١ - اجازة ابن عربي للملك المظفر - مخطوط .. ابن عربي | ١٢ - التاريخ الكبير ابن عساکر |
| ٣٢ - النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ابن شداد (بهاء الدين) | ١٣ - لواقح الأنوار القدسية الشعراسي |
| ٣٣ - شفاء القلوب في مناقب بني ايوب احمد ابراهيم الحنبلي | ١٤ - التصوف عند ابن سينا د. عبد الحليم محمود |
| ٣٤ - الكامل في التاريخ ابن الاثير | ١٥ - الملامية والصوفية واهل الفتوة أبو العلا عفيفي |
| ٣٥ - الكواكب الدرية في السيرة النورية ابن قاضي شهاب | ١٦ - الصعلكة والفتوة في الاسلام احمد أمين |
| | ١٧ - المجتمع السوري في مطلع العهد العثماني د. ليلى صباغ |
| | ١٨ - الخطط المقرئزي |
| | ١٩ - مقال: الزوايا والخوانق الصوفية .. مجلة التراث العربي |

- ٣٦ - الروضتين في اخبار الدولتين أبو شامة المقدسي
- ٣٧ - صلاح الدين الأيوبي البطل الأتقي في الاسلام
..... البيه شاندور
- ٣٨ - جامع كرامات الأولياء يوسف النبهاني
- ٣٩ - ترويح القلوب بذكر ملوك بني أيوب
..... المرتضى الزبيدي
- ٤٠ - سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد الشام والجزيرة
..... د عبد القادر نوري
- ٤١ - بدائع الزهور في وقائع الدهور ابن اياس
- ٤٢ - الفتح القسي في الفتح القدسي المعاد الأصهباني
- ٤٣ - تنمة المختصر في أخبار البشر ابن الوردي
- ٤٤ - الأدب في العصر الأيوبي محمد زغلول سلام
- ٤٥ - نهاية المطالب في انساب فاطمة الزهراء وعلي بن أبي طالب
..... صلاح الدين الموصلي
- ٤٦ - حركة التصوف الاسلامي محمد ياسر شرف
- ٤٧ - الظاهر بيبرس د سعيد عبدالفتاح عاشور
- ٤٨ - الاعلام خير الدين الزركني
- ٤٩ - الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر
..... ابن عبد الظاهر
- ٥٠ - الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة
..... ابن الفوطي البغدادي
- ٥١ - فوات الوفيات ابن شاکر الکتبي
- ٥٢ - غربة الاسلام - مخطوط علي بن ميمون
- ٥٣ - حقائق عن التصوف عبدالقادر عيسى
- ٥٤ - عصر المرابطين والموحدين عبدالله عنان
- ٥٥ - المعجب في تلخيص أخبار المغرب عبدالواحد المراكشي
- ٥٦ - التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر
..... محمد الطيب القادري
- ٥٧ - المغرب العربي صلاح العقاد
- ٥٨ - سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه عبدالكريم عثمان
- ٥٩ - حاضر العالم الاسلامي شكيب أرسلان
- ٦٠ - الأعمال الكاملة محمد عبيد
- ٦١ - دراسات في تاريخ افريقية العربية عبدالكريم غرابية
- ٦٢ - عمر المختار نشأته وبيئته الأولى
..... حبيب وداعة الحسناوي
- ٦٣ - المسلمون والاستعمار الأوربي لافريقية
..... د عبدالرزاق ابراهيم
- ٦٤ - جهاد الممالك الاسلامية في غرب افريقية ضد الاستعمار
..... الفرنسي
- ٦٥ - عبدالكريم الخطابي بطل الشمال الافريقي
..... محمد عبدالمنعم المحامي و محمد عبدالوارث الصوفي
- ٦٦ - حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر
..... عبدالرزاق البيطار
- ٦٧ - تحفة الزائر في مآثر الأمير عبدالقادر وأخبار الجزائر
..... محمد عبدالقادر الجزائري
- ٦٨ - محمد أحمد المهدي توفيق أحمد البكري
- ٦٩ - أحمد عرابي الزعيم المفترى عليه محمود الغفيف
- ٧٠ - الاسلام وحركات التحرر العربية د شوقي ابو خليل
- ٧١ - كشف الستار عن سر الأسرار أحمد عرابي الحسيني
- ٧٢ - بحث : رواق الشام بالأزهر ابان العصر العثماني
..... المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام
- ٧٣ - الاعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية
..... زكي محمد مجاهد
- ٧٤ - الوعي والثورة سميح حمودة
- ٧٥ - تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري
..... محمد مطيع العافظ و نزار ابازة
- ٧٦ - تاريخ الثورة السورية محي الدين السفرجلاني
- ٧٧ - العلامة المجاهد محمد الحامد عبدالحميد طهماز

تم البحث بعونه تعالى